الدكتور فؤاد الإبراهيم(*)

سعياً للتعايش بين الشيعة والسلفية في السعودية

إن المقاربة الجادة لفهم الذات والآخر تستدعي ضرورة التفكير بصورة متعددة الأبعاد للإحاطة باتجاهين متناقضين أو متنازعين ظاهراً، فقد ألفنا أن ضروب التمييز أو الفصل بين التشيع الإمامي والسلفية في السعودية يتم عن طريق حشد أدلة التفارق والتمايز وهي مهمة تبدو سهلة للمشتغلين في حقل (الفرق والأهواء والملل والنحل). ولكن ما يجعل الأمر على درجة عالية من التعقيد والتشابك، هو محاولة إعادة الربط أو حتى الارتياب في كل ضروب التمييز المزعومة من أجل فهم مكوّنات الوعي لدى كليهما. فالتمايز لا يصبح دليلاً حاسماً بمجرد التواطؤ الجماعي على فرضه، فقد يختفي وراء هذا التمايز ما هو مشترك، وإن جاءت الطبيعة الخارجية لمنشأ كليهما مختلفة في الظاهر.

إن ما يجعل مهمة التعايش بالغة الصعوبة هو أن التشيع والسلفية يتوافران على متشابهات مشتركة ولكنها موجهة لتعزيز الضدية والتمايز وليس التقارب.

والتشيع المقصود هنا هو المذهب الإمامي الاثني عشري الذي يعتنقه ما يقرب من نصف سكان المنطقة الشرقية الغنية بالنفط. وسأستعيض عن استخدام الوهابية ذات الدلالة غير المحايدة بالسلفية درءاً لأي انطباعات محتملة يمكن أن يخلقها المصطلح، سيما في ظل الاستقطاب الحاد والمناخ المشحون بالضدية.

(*) باحث ومتخصص في العلوم السياسية من إخوتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

إننا نستطيع البدء في رؤية التشيع والسلفية من منظور سيسيولوجي، سعياً لاقتفاء جذور الاشتراك والتفارق، ويمكن الاحتجاج بدرجة عالية من الثقة بأن نشأة كل من التشيع والوهابية جاءت على قاعدة مناهضة، فهما من حيث التكوين مشروعا مقاومة ضد انحراف خارجي. وباختصار يمكن القول إن التشيع هو حركة ضد انحراف الدولة بينما السلفية هي حركة ضد انحراف المجتمع، مع أن الحركتين تفضيان بل وتصلحان أيضاً لإقامة دولة في حال استخدام عنصري المقاومة فيهما، فكلاهما يحتفظان بقدرة تعبوية هائلة تعين على إنجاح مشروع الدولة.

وأكثر من ذلك، فإن التشيع والسلفية يملكان إجابات حاسمة وقاطعة على أسئلة تتعلق بانحراف الدولة والمجتمع وفي سبل مقاومته، ولكن كلاهما أيضاً يفتقران إلى إجابات حاسمة ونهائية عن أسئلة تتعلق بسير عمل الدولة والمجتمع وإدارتهما، فهما لا يزوّدان الدولة والمجتمع بإجابات - خارج السياق التيولوجي والميتافيزيقي - حول إدارة اقتصاد الدولة وسياساتها في التعليم والتنمية، فليس لديهما علاجات قاطعة لمشكلات المجتمع والدولة.

وفق هذا الزعم، فإن بقاءهما على قيد الحياة مرهون بإبقاء نشاطية عنصر المقاومة في كليهما. إذ ما إن يصل مشروع الدولة إلى لحظة الولادة باسم التشيع أو السلفية حتى يبدأا بلفظ أنفاسهما؛ لأن قيام الدولة يفضي إلى إنهاء مبرر وجودهما، إذ المقاومة أصل الوجود والاستمرار فيهما.

ولذلك نرى أن السلفية في السعودية عاشت صراعاً مريراً ومصيرياً مع الدولة منذ نشأتها سعياً وراء استعادة الزخم النضالي وعنصر المقاومة الذي أعطبته الدولة لحظة ولادتها، ولأن من شروط استقرار الدولة امتصاص عنصر التفجّر في الإيديولوجية التي أوصلتها إلى الوجود. فحين قرر مؤسس الدولة سحب فتيل المقاومة من جيشه العقدي كان كمن كان يتلو بياناً ينعى فيه موت هذا الجيش الذي

تأسس لغرض فتح البلدان. وينطبق الحال على التشيع في إيران في العهد الصفوي، ولعل في كتاب شريعتي (التشيع الصفوي والتشيع العلوي) ما يلمح إلى محنة مماثلة على يد الحكام الصفويين، الذين أماتوا في التشيع التاريخي عنصر المقاومة والاعتراض وأحيوا فيه عنصر المساومة والانتظار.

وأمكن القول، تبعاً لما سبق، إن التشيع والسلفية هما غير قابلين للتدجين سياسياً، ما لم يتم تفكيكهما عن طريق إعادة تفسير محتوياتهما مع إبقاء القشرة الخارجية، فهما سيظلان مشروعي دعوة ومقاومة ضد الدولة والمجتمع، وإن نهايتهما تكمن في لحظة انتصار وقيام الدولة باسم أحدهما. وكمحصّلة لما سبق، فإن الوهابية والتشيع يوفّران آلية فاعلة لإقامة الدولة، ولكن بالتأكيد لا يصلحان بذاتهما للتحول لأيديولوجية دولة؛ لأنهما في الأصل مشروعا مقاومة حيوية متصلة في هيئة حركة تبشير دعوي وجهادي. بكلام آخر، إن مهمة التشيع والسلفية تنتهي في إيصال المشروع السياسي إلى لحظة الإنجاز، ما لم يخوضا مشروعاً نضالياً آخر في أماكن أخرى، يعيد توظيف وتنشيط عنصر المقاومة فيهما كما فعلت السلفية حين استعاضت عن مواجهة الدولة في الداخل بأن صنعت لها جبهات بديلة في الخارج من أجل إفراغ المخزون النضالي في شكله الأممي، ولعل هناك من تنبّه في الدولة السعودية إلى خطورة الحصار ضد السلفية في الداخل فوجّه زخم المقاومة في السلفية باتجاه الخارج.

ويمكن القول بعد ذلك: إن الدولة قد تستعير معناها الديني من التشيع والسلفية، في سياق توفير ذريعة الوجود والاستمرار، ولكن ما إن تنتفي حاجة الدولة من استدانة المعنى، حتى تبدأ محنة المعنى نفسه الذي يظل عصيّاً على الإخضاع الدائم؛ لأنه قد يتعرض لعملية إنضاب على يد الدولة نفسها. وسنكتشف لاحقاً أن التشيع والسلفية هما مصدران غير قابلين للتجديد، بمعنى فقدان القدرة

على التجديد الذاتي من الداخل، كون هذه العملية تتطلب في حالتي التشيع والسلفية بعثرة شبه كاملة لمحتوياتهما. لقد اعترضت السلفية على كثير من سياسات الدولة في التعليم والتكنولوجيا والاقتصاد والقوانين والعلاقات الدولية، تماماً كما اعترض الاتجاه التقليدي الشيعي على قيادات الجمهورية الإسلامية الإيرانية في عهد الخميني وما بعده على بعض الأحكام المتعلّقة بالدولة؛ لأن في ذلك تقهقراً للمعتقد، ورموزه المطلقة، وقد يفسّره الجناح الطهراني في كليهما على أنه عدم وفاء للخدمة الجليلة التي أسداها المعتقد للدولة كيما تجعل من حلم وجودها حقيقة ساطعة.

وإذا كان مبرر الإصلاح والتجديد وإعادة تفسير النص ناشئاً عن رد فعل على تحدي الآخر أو الرغبة في التعايش معه وأحياناً تلبية لحاجات الدولة كما في السعودية وإيران، فإن ذلك يحضرنا على الفور إلى جدلية العلاقة بين الدين والدولة، وهي علاقة الثابت بالمتحوّل، فالدين بما هو منظومة مبادئ وقيم ثابتة والدولة بما هي منظومة متغيرات خاضعة للخطأ والصواب حينئذ يصبح عقم العلاقة بينهما إمكانية واردة دائماً. إن الدين مبدأ اختياري والدولة ظاهرة قهرية، ولا علاقة لذلك بضرورتها الإنسانية، وطبيعة الدولة تفضي حتماً إلى إلغاء الاختيارية لدى الخاضعين تحت سلطانها، وهي تؤدي في نهاية المطاف إلى قمع المبدأ الديني. وهذا يتطلب فصل المؤسسة الدينية عن المؤسسة السياسية من أجل تجنيب كليهما ويلات الآخر وكي لا يفتئت أحدهما على الآخر.

ومن أجل إحباط أي انطباعات أولية حول ما سبق ذكره، لا بد من التشديد هنا على فاصل حاسم بين الاتجاهين الشيعي والسلفي، ما قد يفسّر ما قد يفهم من الانغلاقية المقصودة فيهما؛ لأننا حينئذ مدعوون بإخضاعهما إلى المؤثرات المدرسية والتاريخية وحتى ظروف مكان النشأة، وهذا من شأنه إعانتنا على إدراك السيولة والصرامة في كل من التشيع والسلفية، وبين المساحة الفاصلة بين الفكر والعمل، أي: بين المتبنى النظري والموقف العملي.

إن الفاصلة بين الفكر والممارسة لدى السلفي تكاد تكون معدومة بينما لدى الشيعي فإنها تكاد تكون كبيرة فليس كل ما هو مكتوب يترجم في هيئة أفعال ومواقف، على الرغم من أن هذا لا يندرج في إطار التبرير بل يفرض على الشيعي تضييق الشقة بين الفكر والممارسة، وإن كان يتطلب أيضاً ممارسة نقد ذاتي من أجل إزالة المتناقض مع الممارسة العملية. إن ما يلزم فهمه أن المدوّنات المذهبية لا تعكس بالضرورة السلوك اليومي للمعتنقين، فقد يعثر المتساجلون على ما يصفونه شهادات إدانة استناداً على مدوّنات قديمة أو حتى حديثة ولكنها قد لا تترجم الموقف العملي لدى المحسوبين عليها.

لتوضيح هذه النقطة نزعم، على سبيل المثال، أن ثمة جرعات ثقافية خارجية قد جرى امتصاصها من قبل التشيع، وتفسير ذلك أن ثقوب التسرب الثقافي إلى التشيع كانت واسعة، وهذا ما سهّل دخول بعض الأفكار إلى التشيع وتحوّلها إلى جزء من بنيته التاريخية والعقدية. والسبب في ديناميكية التشيع واستيعابه لكثير من الأفكار هو امتداده وبنيته المنفتحة على تلاوين اجتماعية وثقافية متنوعة، بعكس السلفية التي بقيت مصونة عند رعاتها الأوائل في نجد، ومن دخلها لاحقاً جاء إليها، وقد أحكمت السلفية أبوابها بإحكام، على الرغم من أن بعضهم مثل الشيخ الألباني حاول زحزحة النص السلفي، ولكن هي محاولة تبدو ضئيلة الأثر قليلة الثمر. فمن الناحية التاريخية والعملية، عاشت السلفية في القرى المنعزلة ثقافياً واجتماعياً، ومن غادروا القرى المحصّنة إلى المدن الحديثة لا شك في أنهم امتصوا بعض منجزات الحداثة. ولهذا السبب أيضاً يمكن تفسير كون السلفية قادرة على اختراق المجتمعات المغلقة اجتماعياً التي يكاد ينعدم فيها الحراك الفكري والثقافي فضلاً عن السياسي. ولذلك عجزت الحركة السلفية عن تأسيس وجودات حركية فاعلة من أي نوع أو حتى تحقيق اختراق عقدي في الدول التي شهدت حراكاً فكرياً

نشطاً ومنفتحاً على تيارات فكرية متنوعة مثل مصر وسوريا ولبنان وغيرها، وهذا لا يعني أن السلفية محصّنة أمام محاولات التوريط، أو أنها غير قابلة للاستغلال سياسياً حتى في الدول الأشد تقدماً وانفتاحاً فكرياً، فكما نرى أن السلفية بنسختها السعودية توظّف الآن في حرب طائفية في العراق على الرغم من أن الأخير كان من الناحية التاريخية مناهضاً للمدرسة السلفية ليس من الشيعة فحسب بل من المدارس السنيّة أيضاً.

في الواقع، إن السلفية تجد لها حواضن نشطة في المناطق ذات الصبغة القروية المعزولة ثقافياً كما هي الحال في أفغانستان والجزائر واليمن وجنوب الأردن، فهناك تحقق السلفية أقصى أحلامها الكونية، وتتخذ منها قواعد لانطلاق طلائعها الفدائية التي تنبث في المناطق البكر لتحقيق النبوءات التاريخية النادرة.

على العكس، فإن نشأة التشيع كانت ذات طبيعة حضرية بمعنى أن روّاد التشيع نشأوا أو عاشوا في المدن وتفاعلوا معها وتأثروا بالنشاط الفكري فيها، هذا نلحظه بعد الغيبة الكبرى عام ٣٢٩هـ إذ كان روّاد التشيع الأوائل الشيخ المفيد والشريف المرتضى والشيخ الطوسي مقيمين في بغداد التي كانت حاضنة حينذاك لأكبر تنوع فكري ومذهبي في تاريخ المسلمين على الإطلاق. وهذه الحالة تكررت في وقت لاحق في الحلة وطهران والنجف وقم، فقد كانت هذه المدن مفتوحة الحدود ثقافياً، فحركة الاجتهاد (ذات المنشأ السني) بدأت من الناحية العملية في الحلة على يد المحقق الحلي، وكانت النجف - حسب إسحاق النقاش في كتابه عن شيعة العراق - تستقبل عشرات المجلات الثقافية والأدبية القادمة من مصر ولبنان. بل حتى في العصر الحديث لاحظ ارفند ابراهيميان أن الخطاب الثوري للخميني اشتمل على مفردات اشتراكية اقتبسها من العناصر النضالية التي كانت تحيط به في النجف، إضافة إلى تأثير المفكر الإيراني علي شريعتي في صياغة إيديولوجية الثورة الإيرانية.

ولعل المصاهرة التاريخية الفريدة بين التشيع والوطنية في إيران كانت إحدى التجسيدات البارزة لقدرة التشيع الفائقة على امتصاص الأفكار الأخرى والتعايش معها، على الرغم من أن ذلك لا يعني بأي حال المساس بالنص الأصلي للتشيع الذي ظل متماسكاً طيلة القرون السالفة، فتلك التغييرات تقع خارج فضاء النص وإن كانت في مؤداه النهائي خروجاً عليه. وبينما كان الداعية السلفي مشغولاً في حياكة وطن من نوع خاص، يتم الفصل فيه بين المواطن المؤمن والمواطن المشرك والمعاهد المستأمن كمتواليات حقوقية غير متجانسة، تمكّن التشيّع من عقد أقوى مصاهرة تاريخية مع الوطنية في إيران. إن أسئلة من نوع: لماذا قبل التشيع الوطنية في إيران ولم تقبل السلفية هذا المبدأ؟ ألأن السلالة الصفوية أقل تديناً من السلالة السعودية، أم لأن المؤسسة الدينية الشيعية الإيرانية أضعف أثراً من المؤسسة السلفية السعودية؟ هي أسئلة غير جديرة بالاهتمام؛ لأنها تزوّدنا بإجابات مضللة. تماماً كما أن القول بأن السبب الظاهري لنجاح المصاهرة بين التشيع والوطنية في إيران يرتد إلى عدم سيطرة منطقة على المناطق الأخرى، أي إن الوطنية في إيران لم تنشأ عن طريق قهر جزء للأجزاء الأخرى، بمعنى سيطرة عناصر خاصة: منطقة، فئة، مذهب، وهي مكوّنات هوية خاصة وليست هوية وطنية. فهذا الرأي يبدو ناقصاً، وهو يمثل وجه العملة الأول؛ لأن هناك بالتأكيد أسباباً أخرى أشد تعقيداً، وترتبط أحياناً بقدرة السياسي على تكييف المخزون الإيديولوجي لجهة صياغة مشروع دولة مكتملة الشروط الوطنية. فمن الواضح، أن التشيع لم يعزز الانتماء الوطني لدى العراقيين كما لم يعززه في دول أخرى بما فيها السعودية، لا لكون التشيع أنجب مضاداته على دولة غير وطنية فحسب، بل لأن في التشيع أيضاً ما يصلح لتأجيج المناوأة الشديدة للدولة، باعتبارها شكلاً من أشكال الغصب على المستوى المذهبي والقهر والفساد على المستوى الإسلامي والثقافي. وهذا ينبّه برنين

مدوٍّ إلى أن التشيع قد استقر في أشكال وصياغات متعددة، ولذلك يبدو مقبولاً الحديث عن نماذج للتشيع بحسب المجتمعات التي احتضنته وجرى تكييفه مع أوضاعها الاجتماعية والثقافية.

لإن كان ما سلف مقدمّة إرشادية حول التشيع والسلفية كنا قد اقتربنا من صلب القضية المراد معالجتها في هذه المقالة، للشروع بحفر أولي في اتجاهين يبدوان متناقضين ظاهرياً، من أجل الانتقال إلى رصد المشترك بينهما.

مشتركات ضدّية:

١- شراسة الممانعة عند الطرفين، فثمة مضادات نشطة ثاوية في بنية الوعي المذهبي لدى الشيعة والسلفية تحول دون كسر النسق الفكري الموروث، إذ يتحصّن كل فريق داخل ترسانة من الأسلحة الرادعة عن التسويات الفكرية التي تتطلب تنازلاً عن جزء من الرأسمال العقدي، في تعبير عن اندكاك الفريقين في الذات الفارطة في نرجسيتها.. ينبئك أحياناً المتساجلون من الفريقين بأن ما يصفونه بنقاش منطقي ينتهي إلى طريق مسدود، ويصاب كلاهما بالإحباط؛ لأن قائمة شهادات الإدانة التي أسرف أحد أو بعض المتساجلين في رصدها وتجميعها من مصادر الخصم تواجه بقائمة مقابلة موازية لها في الإثبات وقوة الإفحام. وحاصل السجال يصبح صفراً، فما تخيله كلاهما من أن القائمتين ستؤديان إلى إتيان البناء العقدي لكليهما من قواعده ليس سوى وهم، فما تفعله المحاججات الكلامية ليس سوى تفريغ لمنسوب الانفعال الذهني بقضية تستسكن هؤلاء المولعين بدحض الحجج تعويضاً عن انكسارات في الداخل والخارج. في حقيقة الأمر، إن الفريقين ينزعان إلى تحقيق الذات وليس إحقاق الحق، فكلاهما ينبذان الحقيقة التي تنطوي على إقرار بالخطأ أو التسليم للآخر.

ولأن رحى التجابه المذهبي تدور في مناخات غير محايدة، أي: كونها مأسورة لشروط معركة إثبات الذات أولاً وأخيراً، فإن ثمة نزوعاً ضارياً لدى الفريقين نحو تدجيج الأتباع بالمقاومات الدفاعية كافة التي تحول دون اختراق فكري من الخصم، فالتجابه في نهاية المطاف لا يؤول سوى إلى إبقاء ما كان على ما كان.

٢ - نزعة التوسع والاختراق، بمعنى حركية المذهبين.. إذ لا يكف الفريقان - بعد تحصين الذات - عن الانغماس التام في البحث عن مواقع جديدة ومعتنقين جدد، فشبكات العمل لدى الفريقين تعمل بلا هوادة من أجل تحقيق فتوحات مذهبية في مواقع الآخر، أو حتى في بقع جغرافية نائية تضاف إلى السواد وتدخل ضمن الرصيد الشعبي للمعتقد، وهذه النزعة قارّة في التكوين العقدي لدى التشيع والسلفية.

لا شك في أن الدولة السعودية أضافت بعداً سياسياً للدعوة السلفية، وأمدّتها بأدوات تبشيرية فاعلة، تماماً كما أضافت الثورة الإيرانية بعداً سياسياً للتشيع الدعوي على الرغم من أن كليهما - أي: التشيع والسلفية - كمشروع ديني - كان قائماً ويستهدف إشباع الشعور العام بالتفوق الديني. في حقيقة الأمر، إن كلاً من التشيع والسلفية حققا في العقدين الأخيرين أضخم عملية انتشار كوني لهما، وسجّلا حضوراً كثيفاً في النشاطات الدينية في قارات العالم.

في المقابل، هناك شعور بالامتعاض الشديد وبفداحة الخسارة لدى الطرف السلفي كون مشروعه الدعوي لم يستوعب الجماعات المذهبية الأخرى في المملكة. فبينما نجح المشروع الدعوي السلفي في استيعاب جماعات جديدة داخل المعتقد السلفي في أرجاء عديدة من العالم وحقق انتشاراً واسعاً إلا أنه عجز عن تحويل الجماعات الداخلية وبخاصة الشيعة، على الرغم من المحاولات المضنية من قبل الدولة والمؤسسة الدينية من أجل تحقيق الانسجام الديني الداخلي. مع التذكير بأن

التحويل يقصد به الجانب المذهبي المرتبط بالهيمنة فحسب، وليس الجانب السياسي الذي يتطلب المساواة على أساس التوحد المذهبي. إن هذا الإخفاق يفسّر جزئياً على الأقل تضخيم الإنجازات في تحوّل أفراد عدة من الشيعة إلى الوهابية كتعويض نفسي عن الخسارة في المعركة الكبرى، تماماً كما أن تضخيم تحويل بعض السنة في الخارج إلى الشيعة وتداول قصصهم في الداخل يهدف إلى تصليب المعتقد الشيعي وتعزيزه في نفوس أتباعه، إلى جانب الشعور بالانتصار قبالة اندحار الآخر إيديولوجياً.

٣ - الانتقال من الإحساس بالخطر إلى المبالغة فيه لدى أتباع الفريقين، فكلاهما يبرع في حياكة قصة وهمية عن الآخر، ثرية بكل أدوات الإثارة والفوبيا المتخيّلة التي تضخّم خطر الآخر، وتبرر رفع درجة الخطر إلى أقصاها، وتالياً اتخاذ الاحتياطات الأولية كافة عبر شن حملات التعبئة المضادة.. وبحسب هذا الخيال الخصب في تصوير خطر الآخر، فإن مسوّغات القطيعة والتحصين والمدافعة تبدو مقبولة، طالما أن ثمة داهماً يوشك أن ينقضّ لتقويض البناء.

حزمة كتابات صدرت في السنوات الماضية تتحدث عن (مؤامرة شيعية) و(خطر شيعي)، وهناك في التعبير الشعبي الشيعي توصيفات مماثلة مثل (مخطط وهابي) و(تنظيم وهابي) كلها تعبر عن الإحساس بالخطر.

صورة الآخر لدى الطرفين الشيعي والسلفي محكومة بدسيسة متخيّلة ومخططات مبيّتة تحاك من الطرفين في الخفاء، وهي الصورة الكفيلة بصناعة ذاكرة وهوية وجماعة تضمن وجودها وتماسكها عن طريق الإحساس المسرف بالخطر الداهم، وعلاوة على ذلك كله، فإن حشد الأفراد داخل إطارات جماعية يتم عبر الإفراط في تصوير الخطر المصوّب إليهم. ولنسوق مثالين من تجربة الانتخابات البلدية الوشيكة، فالشيعي العادي يصوّر الانتخابات على أنها فرصة

شبه كاملة لتحقيق الذات أمام الآخر السلفي الذي يحمّله مسؤولية حرمانه المزمن من حقوقه السياسية والاقتصادية والفكرية، وبالنسبة للسلفي فسأكتفي بنقل فقرة مقتطفة بحرفية تامة من موقع (الساحة) على شبكة الإنترنت كأحد تعبيرات الإحساس بالخطر:

«والله من موتت القلب يا سعودي يا سني.. نايمين نايمين نايمين.. السنة نايمين والرافضة يرصون الصفوف» إلى متى السذاجة؟..الرافضة أقلية في السعودية والأقلية أكثر تنظيماً وأكبر مكراً ودهاءً.. يوم الثلاثاء القادم يفتح التسجيل في انتخابات المجلس البلدي.. أكيد لا يعنيكم.. أكيد نايمين في العسل.. انتبه إذا ما سجلت نفسك ناخب يوم الثلاثاء ١٠ شوال فلن يحق لك التصويت.. أتعرف ماذا يعني هذا؟ إذا ترشح سني ورافضي وقمت تغلي تريد ترشيح السني قيل لك ضف وجهك أي لا يحق لك التصويت لأنك أهدرت حقك في التصويت أنت لم تسجل كناخب.. فهمت.. وتأتي طوابير الرافضة لانتخاب مرشحينهم.

المفروض ننظر للانتخابات بجدية ووعي أكبر و أكثر ولو كانت انتخابات على وضيفة فراش أو مراسل في البلدية.. فللنجاح فيها أو عدمه إشارة يفهمها الجميع إلا اللي نايم في العسل.. صح النوم يا سعودي يا سني.

الانتخابات البلدية في الرياض سوف تبرز على الأقل سبعة أشخاص يقررون وباسم الشعب الكثير والكثير من ما يرضيكم أو يزعجكم.. اقرأ يا أيه المسلم السني قبل أن ترى الرافضة تتحكم في شوارعك ومحلاتك التجارية وملاعب أطفالك.. أنتم مستهترين بدور البلدية.. اقرأ يا سني قبل أن يفوت الفوت ولا ينفع الصوت..». انتهى.

إن هذه التصويرات الجانحة في هذيانها وعنفوانها ليست معزولة التأثير أو مقطوعة الصلة بالوعي الذاتي المتراكم، ولا بد حينئذ من وضعها في سياقها

التاريخي والاجتماعي. فهنا لا تبدو الانتخابات - كما تخبرنا التصورات الشعبية المتقابلة لدى الفريقين - على أنها آلية لإيصال الأجدر أو طريقة لتحسين أداء الدولة وتطوير مستوى الخدمات، بل منافسة محتدمة على حصد المراكز، ومعركة لاحتلال مساحة التمثيل الأوسع القائم ليس على الكفاءة بل على الكثرة والقوة.

٤ - التمأسس، وجود جسد وأطر مؤسسية، لا يكتفي أي منهما بمجرد العمل وفق آليات تنظيمية عفوية أو ارتجالية تفرضها شروط وظروف الفضاء الذي يسكنان فيه، بل لكل منهما شبكة متمددة من المؤسسات التي تزاول مهام تأكيد الذات ومجابهة التأثيرات الخارجية، فعمليات التحصين لا تتم إلا عبر ترصين مؤسسي فاعل، فالمؤسسات الدعوية والتعبوية هي خطوط دفاعية متقدمة تمثل خطوط التماس غير المباشرة ضد نظائرها لدى الآخر. فالنظام المراتبي الديني لدى الشيعة والسلفية هو الأقوى بين الأنظمة المراتبية الدينية لدى عموم الشيعة والسنة من المذاهب الأخرى، فهذا التسلسل المنظّم في مراتب وطبقات رجال الدين، يجعل من تماسك الجماعتين شديداً، كما يجعل سلطة التوجيه وهكذا الأهداف متمركزة، بحيث يجعل عمل المؤسسات منتظماً في حلقات تنتهي إلى من هم بالأعلى، القادرين وحدهم على منح جرعة الشرعية. ولذلك، نرى أن فتوى من أحد مراجع الشيعة في قضية عامة تكون حاسمة لأي خلافات داخلية، كما يخبر عن ذلك فتاوى التنباك والدستور وثورة العشرين وخروج الناس للشوارع في الثورة الإيرانية وأخيراً في المشاركة في الانتخابات في العراق، كما تخبر في الجانب السلفي فتاوى ذات صلة بحوادث كبرى من قبيل كسر شوكة الإخوان، وحسم هيئة كبار العلماء الخلاف على العرش في عهد الملك سعود وفي دعوة القوات الأجنبية (الكافرة) إلى السعودية، وفي مواجهة حركة جهيمان العتيبي، وتطويق النشاط الاحتجاجي للتيار السلفي الشبابي في التسعينيات، وأخيراً في رد المفتي العام على بيان الـ ٢٦ .

إن توحيد مصدر الإفتاء والشرعية الدينية يتم في أحيان كثيرة بدعم وإرادة الدولة، ولكن في الوقت نفسه يعكس حقيقة أن في النظامين الدينيين الشيعي والسلفي ما يسمح بذلك.

إن الكفاءة العالية التي يتمتع بها هذان النظامان الدينيان تظهر في سرعتهما الفائقة والخيالية في التعبئة والحشد، فخطابات التوجيه التي تسري عن طريق قنوات الاتصال التقليدية والحديثة من مساجد و(حسينيات لدى الشيعة والمدارس الدينية لدى السلفية) وحلقات الدروس والمحاضرات وبرامج الدعوة والإرشاد وزيد عليها حالياً مواقع الإنترنت والفضائيات كفيلة وفي وقت قياسي بتلبيد الأجواء العامة وصناعة كل مبررات الخصومة والعداوة. من الملاحظ أن التقانة الخطابية العالية لدى الفريقين تتولى مهمة صناعة قضية بل قائمة قضايا وهموم، بحيث ينذر الفرد ماله ونفسه وولده لها، فأولئك الضحايا المتساقطون في ساحات الوغى في أفغانستان والشيشان والعراق وغيرها قد تعرضوا لإشعاعات عالية من الخطاب الجهادي في مواطنهم قبل أن ينتظموا في قوافل الفداء بطبعها السادي وبنهاياتها الدامية.

٥ - السكون حدّ التماهي في التاريخ والماضي، لقد وطّد المؤمنون بالتشيع والسلفية أنفسهم على الخضوع تحت سلطة الموروث والاستقالة إزاء ما يضخه من تعاليم ونصوص ومواقف وأيضاً خصومات، على الرغم من أن دور الأتباع من الفريقين يقتصر على تحديد وتجديد أزمنة المجابهة المذهبية ومقدار المخزون المطلوب استعماله من هذا التراث في التجابه. إن الانتقائية في قراءة الماضي والاسترشاد بالنص الديني تمثل منزعاً متغوّلا لدى الشيعة والسلفية، كونها - أي الانتقائية - مصمّمة لترسيم الحدود الفاصلة بين الجماعات وفي تعميق الوعي بالذات وتالياً في المنازلات المذهبية الفارغة. لا يحتاج الأمر إلى مزيد

من الجهد لحشد التاريخ برموزه ونصوصه المنتقاة بعناية في معارك الحاضر؛ لأن الجميع منغمس فيه بل ومنهزم أمامه، فهذا التاريخ بات جهازاً فائق السيادة وهو منذور لتوفير مواد الاحتراق الضرورية لإشعال الخصومات.

لقد هيأ لنا التاريخ بما يحمله في جوفه أشكالاً متنوعة في الرؤية وأنظمة المعنى وأيضاً في العلاقة الباعثة إما على الاضطراب أو التضامن، ولكن شيئاً واحداً قصرت سلطة التاريخ عن الوصول إليه وهو قرار الرضوخ له، فاستعباده هو قرار مستقل من أولئك الذين حطّوا رحالهم عند أمل مستحيل التحقق هرباً من يأس الخداع.

لا يتقارع الشيعة والسلفية بأسلحة من صناعة الحاضر تماماً كما هو منشأ معركتهم وأسباب اندلاعها، وإنما يستعيرون من الماضي أسلحته، ولذلك ما إن يشعل أحدهم عود الثقاب في مفاتنات الجدل المذهبي العقيم حتى تفتح مخازن التاريخ أبوابها في عملية لوجستية واسعة النطاق، ولعل أول ما يستحضره الشيعي سلاح السقيفة الذي به يفلق الساحة إلى نصفين: من هم مع علي ومن هم عليه، ليسقط هذا الانفلاق من الحساب الديني أخلاقيات علي ونظامه القيمي، الذي يقدّم التوحد العام على الحق الخاص. في المقابل، أول ما يستحضر السلفي مقولات الشيخ ابن تيمية في الشيعة (الذي يحلو له تخفيضهم تشنيعاً بهم إلى الرافضة). يعدّ الشيخ ابن تيمية المهندس الأول لنظرية المؤامرة الشيعية في التاريخ منذ فرضية دسيسة العلقمي التي قوّضت أركان الخلافة العباسية، لتتلوها قائمة مكتظة من الحياكات الخيالية، عن العالم الخفي الذي لا يفتر فيه الشيعة عن رسم الخطط للكيد لهذه الأمة المتوحدة والنيل من مقدساتها. فلكل من الشيعي والسلفي فضاؤه المقدّس، وروايته التاريخية الرسمية، في تعبير عن التأدلج الماحق للحقيقة الكاملة.

٦- التجريم الابتدائي والجماعي حدّ التجريد من حق الحياة، فالانطلاق في تقييم الآخر لا يبدأ من قاعدة أخلاقية، بل وليس من قيمة دينية، وهذا يعني أن حسماً مطلقاً قد تم في ذهن أتباع الفريقين، على أن كل ما يصدر عن الآخر هو مجرد خطأ مطلق، ولا يستحق الفحص والتوثق، وأن من يعتنقه ليس سوى مجرد معتوه، جاهل، أحمق لا يستحق أكثر من الازدراء به والحط من شأنه، بل إن النيل منه لا يتطلب المرور عبر حدود الأخلاق والقيم، فكل تشنيعة على الآخر تصبح معفية من الحساب الأخلاقي؛ لأن كلاً منهما قد قرر إفناء صاحبه في داخله قبل أن يعدمه في الواقع. ولذلك، فإن التفنن في تلطيخ الآخر وإكالة آخر تقليعات الشتم والقذف مسموحة؛ لأن صورة الآخر لديهما قد بلغت حداً مفرطاً في التشويه بما يسمح الهجوم عليها دون ضوابط دينية أو أخلاقية. ينكر عليك استدعاء الآيات القرآنية الناهرة عن قذف الغير دون دليل، أو العدل في الحال كله؛ لأن انعدام جدارة الآخر يلغي الحاجة إلى العودة للضابط الديني، كما يسمح بسحق الآخر.

إن الأحكام الإجمالية التي يطلقها المتساجلون الشيعة والسلفية تعطل آلية الفحص الدقيق لتباينات وخطوط داخلهم تحول دون تحميل بعض جريرة بعض آخر. فهناك صورة نمطية مسوّدة تفرضها نزعة قدرية أو حتمية تاريخية تجعل الأحكام الإجمالية حازمة وقاطعة وغير قابلة للمراجعة. فلدى السلفي رؤية تاريخية استاتيكية تقوم على اعتبار أن ما جرى في معركة بغداد العباسية بصرف النظر عن أوجه التحليل الأخرى قد تكررت في معركة بغداد الأخيرة، وأن الرؤية التاريخية لدى الشيعي تقوم على اعتبار أن النواصب الذين ظهروا في التاريخ هم أنفسهم يتحدرون من الخط الاغتصابي نفسه، الذين يكيدون لأهل بيت النبوة ويغصبون حقهم. لا يترك أي منهما لقيم الدين أو حتى للمبادئ الأخلاقية العامة كيما تتوسط

معادلة الصراع قبل إطلاق العنان للقلم واللسان في النيل من الآخر جماعياً، فليس هناك ورع عن وصم الآخر بكل تهمة، تبدأ من الأقصى أي بالنيل من الأعراض والتسافل إلى حد استعمال كلمات ينأى روّاد المواخير عن استعمالها. لا يمكن تفسير ذلك سوى بطريقة واحدة، إن وجود الآخر بات تهديداً للذات ولا بد من إنهاء وجوده البيولوجي، وحين يفشل أحدهما أو كلاهما في تحقيق تلك المهمة يلوذ باستعمال كل شيء يعبّر عن تلك الرغبة ولكن دون سلاح فعلي.

٧ - الانشغال في الآخر وتنزيه الذات، حيث يكتفي الشيعي والسلفي بما ضمّه سجلّه المذهبي، غير القابل للتفسخ والتعليق والتأويل، وبالتالي فهو يصدر عن قناعة بأن الآخر بات عليه أن يغادر قواعده، وأن يخرج من ثغوره رافعاً الراية البيضاء. وفق هذا النزوع النرجسي الاصطفائي، يمتنع كل منهما عن مزاولة أي نقد ذاتي أو مراجعة تؤول إلى استبدال القناعات الصلبة تجاه الآخر، بل هناك خشية جامحة من عملية كهذه تؤدي إلى تسليم الآخر سلاحاً يشهره في وجهه، ويستعمله في معركته الفاصلة، فكل منهما مشغول بتحصين الذات عبر دورات تعبوية واسعة ومتواصلة. وكونهما ينوءان بهاجس القاعدة المعروفة (من فمك أدينك)، فإن النقد الذاتي يتحوّل إلى جريمة يعاقب عليها حرّاس العقيدة ومن ورائهم جحفل الأصفياء والأوفياء للمعتقد.

ومن المفارقات المثيرة للسخرية أن الانشغال بالآخر لا يؤسس لطريقة ما في الانفتاح عليه بل في إرساء وتعزيز كل مبررات القطيعة معه، وهناك بلا شك شواهد عديدة لدى الجانبين الشيعي والسلفي. في فتاوى الشيخ عبد الله بن جبرين، كمثال بارز، ما يكشف بوضوح بالغ عن هذا المنزع، فقد أجاب عن سؤال وجّهه إليه أحد السائلين من عمال شركة أرامكو عن حكم الجلوس على طاولة تضم شيعياً (رافضياً!) أو التحادث معه بصورة وديّة، فجاء الجواب بلغة ناهرة تدعو إلى

مقاطعة الشيعي والانعزال عنه، وفي فتاوى الشيخ ابن جبرين الأخرى حول الشيعة ما يندرج في التوجيه الانعزالي نفسه. لقد أجرى الشيخ سلمان العودة نوعاً من القسمة المغرضة بلحاظ أن الدعوة للمقاطعة لا تستقيم مع فتوى أخرى تحث على دعوة الشيعة وأهل الضلال لتغيير معتقداتهم واعتناق الدعوة الحق - السلفية. فالشيخ العودة يؤسس لانفتاح من نوع آخر والى الحوار مع الشيعي بنيّة دعوته إلى المذهب الحق بحسب عقيدته، وليس من أجل فهمه والتعايش معه.

وهذه النزعة تلتقي مع نظيرتها لدى بعض علماء الشيعة في السعودية الذين يتبنون مبدأ الانفتاح على السلفي درءاً لخطره المتخيّل وطمعاً في انتزاع اعتراف بحقوق منكرة أو مهضومة، وليس انطلاقاً من الرغبة المبدئية في التعايش معه، وإقراراً بحقه في الاختلاف والاعتناق الحر.

ثمة عكوف فارط في نشر ما يعتقد بأنها مخازٍ مستخرجة من كتب السلف، أو حتى منطوقة أو مدوّنة في سجلاّت الخلف وتلطيخ المجموع الكلي من المنتمين له. على الرغم من أن الفريقين قد لا يعلمان أحياناً ببعض ما توصف بالمخازي.. فالخصم يمارس عملية تثقيف سالبة في سياق عملية التشهير بالآخر.. وقد يحيط المحارب معرفة بمصادر ونقاط قوة وضعف خصمه بينما يجهل هذا المحارب نصف ذاته الآخر، الضعيف منه.

لقد ذهل كل طرف عن ذاته وانشغل حدّ الانزراع والسكون في الآخر، طمعاً في إشغاله عنه وإخضاعه تحت الرقابة العقدية الدائمة التي تبيح وتسهّل مهمة تفتيش معامل ذخيرته العقدية.

إن التداول الواسع النطاق للكتب الطائفية لدى الفريقين يندرج في سياق تبديد فرص التواصل وتعميق القطيعة، ولعل انتشار الكتب الطائفية في المنطقة الشرقية،

بما فيها الكتب التي تروي قصص من تحوّلوا إلى التشيع والتي تجد لها سوقاً رائجاً بين الشيعة في المنطقة الشرقية، ما يحول دون تمهيد أرضية اللقاء المفتوح مع الآخر - السلفي، الذي ظل هو الآخر مشغولاً بتلقّف ما تلفظه المطابع الموقوفة لطباعة كتب المنافرة مع الشيعة.

نشير هنا إلى أن حركة الإصلاح الديني هي حركة غير معادية ضد الآخر السني أو الشيعي، أي إن ضعف النزعة التقليدية عند الطرفين الشيعي والسلفي يؤدي إلى امتصاص التوتر ضد الآخر، بل يؤدي إلى فهم أفضل للآخر ونقد الذات؛ لأن عملية الإصلاح تشرع بادئ أمرها من الانفتاح على الآخر سعياً لفهمه، ولا شك في أن وجود الجدران العازلة والمتطاولة يجعل كلاً من الشيعي والسلفي عاجزاً عن فهم أحدهما الآخر.

في التوغل قليلاً داخل هذه النقطة الشائكة يظهر لنا بوضوح أن المنظومة الحكمية تبدو شديدة الصرامة والانغلاق لدى الفريقين الشيعي والسلفي، أي إنها منظومة مدججة بأحكام قطعية ونهائية ضد الآخر، إذ إن تكفير الآخر ينطوي على نبذ نهائي لا رجعة عنه، بمعنى أن النص الحكمي الصارم قد دمّر طريق العودة عنه أو الخروج عليه، مع أننا قد نعثر على استثناءات نادرة للغاية لدى الفريقين مرتبطة بشؤون الدولة، بعكس الأحكام ذات الطابع المذهبي المحض التي تبقى ثابتة ونهائية، فهي وإن ظلت غير مستعملة في بعض الأزمنة فإنها تبقى صالحة الاستعمال، أي: بتفسير آخر قد تكون هناك نية لإخفاء الأسلحة، ولكن ليس تدميرها، وهنا مكمن الخطر الحقيقي والدائم، ولعله أيضاً يمثل الفارق الجوهري بين الإصلاح والمصلحة.

محنة التجابه الطائفي.. والمراجعة المؤجّلة:

يجب القول: نحن بحاجة إلى جرأة بالغة في مجابهة واقعنا بتجرّد تام، قبل الإسراف في البحث الخادع عن جهات مجهولة الهوية لتحميلها خطايانا. إن الطائفية ليست صناعة أجنبية وليست ابتكاراً خارقاً للعادة، على الرغم من أن الإجماع منعقد على قذف جهة غيبية وأصابع خفيّة تدير معركة الطائفية، مع أن الضالعين في هذه المعركة هم أنفسهم الذين يعيدون إحياء كل ترّهات الماضي، وهم أنفسهم المتراشقون بما يعثرون عليه في سجّلات التاريخ من (مستمسكات) دامغة!!، حيث ينزع كلا الطرفين إلى حبس الآخر في ذاته، والى تكبيله بما يحاول هو الانعتاق منه، فلا يسمح له حتى بالبراءة مما حمّله أسلافه من مواقف قد لا يتفق الخلف معها؛ لأنه يريد إبقاءه مداناً ومتّهماً، ولذلك لا يقبل منه حتى مجرد الدفاع عن نفسه.. فالشيعي المعتدل يظل في إدراك الآخر أسير (تقيته) التي تبرر مناهضته وتكذيبه، والسلفي المعتدل يظل في إدراك الآخر أسير (مصلحته) التي تبرر تسفيه اعتداله. وفي كلتا الحالتين، يحرم كل منهما الآخر فرصة المراجعة؛ لأنها غير مقبولة من كليهما. بكلمات أخرى، إن المراجعة منبوذة من الطرفين، وهذا ما يؤدي في نهاية المطاف إلى إعطاب الإحساس بالحاجة إلى فحص الذات أو تأجيلها؛ لأن ثمة أولوية كبرى يفرضها التجابه المذهبي. ولذلك، فإن ما يتغيّر أحياناً لا يطال البنى العقدية للطرفين وإنما يكون في آليات التعامل معها، أي: في المصلحة المرجوّة. إن المصلحة المشتركة في وعي الشيعي والسلفي تخضع لشروط خاصة وذاتية، ولا تتضمن فتح مساحة التقاء، أو تمهيد أرضية يكون فيها الطرفان أو الأطراف كافة سواء.

وحدها الطائفية التي لا تتطلب إستراتيجية معقّدة، إذ يكفي في اشتعالها وعلى نطاق واسع نشر مقالة من شخص ينتمي إلى إحدى الطائفتين. وقد لحظنا أن مقالاً طائشاً كتبه شخص غير مسؤول في مجلة شيعية تدعى (المنبر) ضد أم

المؤمنين وزوج النبي المصطفى عائشة رضي الله عنها كي تنفخ ريحاً ساخنة في بعض الأوساط الدينية والشعبية في الكويت، لم تهدأ إلا بعد صدور قرار من مجلس الوزراء بحملة تفتيش واسعة في المكتبات الشيعية بحثاً عن نسخ من هذه المجلة الفارغة، تماماً كما أن برنامجاً في محطة الإم بي سي السعودية استضاف فيه شخصاً يدعى الشيخ عبد القادر شيبة الحمد يتضمن تحريضاً على الكراهية الدينية ضد الشيعة كفيل بـ (زرع بذور الفتنة الطائفية بين مواطني البلد الواحد) حسب حملة احتجاج شيعية. إن هذين الحدثين يؤكدان مرة بعد أخرى أن الطائفية سريعة الاشتعال؛ لأن محفّزاتها وعناصرها وآلياتها مازالت قارّة في الوعي الإسلامي العام. ومن المؤسف أن الطائفية قادرة على حشد الناس وإقناعهم الفوري واستفزازهم نحو أداء المهام التي لا يقدِّرون أهميتها وخطورتها دون الطائفية.

وسيبقى الاستنكار مشروعاً على علماء الشيعة والسلفية تفريطهم في الوحدة الوطنية والإسلامية، حين يشغلهم تماسك قاعدتهم الشعبية عن إصدار بيانات احتجاجية على مهاترات بعض المنابر الإعلامية المنفلتة، التي تدك بالتأكيد صميم الوحدة وتحرّض على الكراهية الدينية، وتشيع أجواء طائفية برائحة نتنة.

ويطال الاستنكار كتب الفريقين المحشوّة بفتاوى تكفير المخالف، الصادرة عن كبار العلماء، والتي تزوّد المتطيفين بكل مواد التعريض بالآخر وتبيح لهم استعمالها في معاركهم الطائشة، إيهاماً بتجريد الآخر من كل حق. فقد تجد سؤالاً إفتائياً من قبيل (هل يعذر علماء الشيعة في تكفيرهم لنا - نحن السلف - لأننا نجحد أئمتهم؟) و(هل يتخلى علماء السلفية عن تكفيرنا - نحن الشيعة - أو تكفير عموم المخالفين لمذهبهم؟).

لا ريب في أن دور العلماء جوهري في وقف هدير المهاترات الطائفية. ومن أجل فهم هذه المهمة بصورة دقيقة يكفينا المجادلة بأن كسر الرتابة والتراتبية في

النظامين الدينيين الشيعي والسلفي يفضي بصورة حتمية وطبيعية إلى تهديم البناء العقدي لكليهما؛ لأن تشييد هذين النظامين مؤسس على قاعدة تتابعية سلطوية تبدأ بالخالق وتتحدر إلى الرسول ثم الإمام أو العالم باعتباره وريثاً شرعياً ووحيداً للرسالة. وفق هذا التسلسل الرسالي، تصبح شبكات العمل الديني عهدة بيد علماء الدين، وخاضعة في الوقت نفسه لتأثير منظوراتهم في الشؤون الخاصة والعامة سواء بسواء. وعلى وجه الإجمال، فإن الأخطاء الفادحة التي يسببها هذا التسلسل تنشأ عن طريق انحصار صناعة القرارات المصيرية المتعلقة بالشأن العام في شخص واحد، هو الفقيه أو المفتي.

أيكفي التعويل دائماً على رهان الإيمان والورع من أجل تجنيب صانع الحكم الديني الأخطاء الفادحة، كما أن الشؤون العامة ليست محكومة بمجرد التبصرة الفقهية المحضة؛ لأننا نعلم بالضرورة أن كثيراً من فتاوى التكفير صدرت وكانت تحيط نفسها بهالة وهمية من الإيمان والورع أو التأسيس الفقهي المتقن.

إن مناوأة الطائفية باتت هي الأخرى سلاحاً يستعمله الطائفيون لدرء التهمة عن أنفسهم أولاً وتشويه سمعة غيرهم، لعلم الطائفي نفسه بأنه إنما يستعمل سلاحاً فتّاكاً ولكن لا يعلم بأنه هو نفسه مبتكر مكوّنات هذا السلاح..

إن الطائفية قد تتوغّل أحياناً في أصحابها فتتقيأ قيحاً وصديداً وتقذف به غيرها، مع أن المصابين بها يجهلون أو ينكرون إصابتهم بالداء نفسه، وهذا تجسيد آخر للانشغال بالآخر وتنزيه الذات.

فالطائفيون يتقاذفون تهمة الطائفية، وهم غافلون بل ومنكرون لإصابتهم بها.. بالنسبة للشيعي فإن الطعن في الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم -، وقذف أمهات المؤمنين وبخاصة عائشة وحفصة - رضي الله عنهن - يعدّ

قراءة مشروعة للتاريخ، ولعلها تدرج في إطار حرية التعبير بينما الحديث عن غلو الشيعة في الأئمة ونقد الممارسات الطقسية الشيعية تعدّ نيلاً من الوحدة الوطنية وإثارة للطائفية، وبالنسبة للسلفي فإن تكفير الشيعة وتصنيفهم في مرتبة أدنى من اليهود والنصارى، والقدح من طرف خفي في الإمام علي على طريقة الشيخ ابن تيمية والإمام الحسين في خروجه على يزيد بن معاوية، ولصق هزائم المسلمين كافة في التاريخ بالشيعة، يعدّ كشفاً للحقائق، ولعلها تدرج أيضاً في فضح أهل البدع والضلال، بينما تعدّ القراءة النقدية في التراث السلفي على طريقة الشيخ حسن بن فرحان المالكي خروجاً عن الملّة، وتأجيجاً للطائفية البغيضة.

إن التأسيس الثقافي والتاريخي للأمة معدّ في الأصل لاستدعاء وتحفيز عوامل التجزئة والانقسام، ولذلك فإن قنوات التعبير الثقافي والاجتماعي تتحوّل تلقائياً إلى قنوات طائفية في مدة قياسية. نقل زعيم حزب شيوعي في الخليج ذات مرة في بداية التسعينيات أن عناصر الحزبين الشيوعيين المتحالفين في هذا البلد قد ارتدا إلى انتماءاتهم المذهبية فصاروا شيعة وسنة بعد أن كانوا ماركسيين وماويين. ولعلنا نجد الآن ومنذ سقوط نظام صدام حسين أن الطائفية تسيّر مواقف وتوجهات الأحزاب العربية والقنوات الفضائية العربية والحكومات العربية على اختلاف تلفيقاتهم الأيديولوجية والسياسية، وكأن صدام حسين كان رمزاً دينياً وحدوياً لا يتكرر في التاريخ.

في حقيقة الأمر، إن الطائفيين يتخفون تحت أسماء كبيرة، كالأممية والقومية والوطنية وحتى الدولة بنزوعها الطائفي أو الفئوي أو المناطقي قد تجيد الرطانة الأيديولوجية الماكرة فتلوذ في أحيان كثيرة بالتلفع بالرداء الوطني كي تؤكد تمثيلها العام لأمة متشظية، وكي تستر أيضاً سر السياسات التمييزية السارية في جسدها، مع أن هذا الاستتار يصلح للتعمية على من هم خارج الحدود وليس على ضحايا

التمييز الذين يكتوون بنار الطائفية في المؤسسات الحكومية وفي التعليم والتوظيف والتمثيل السياسي... إلخ.

وفي ظل غياب معايير قيمية مشتركة متفق عليها يمكن بها اختبار سلوك الأفراد، ولأن الناس في البلاد تخضع للائحة قيم خاصة مذهبية وفئوية ومناطقية فإن السياسات أيضاً تبقى رهينة النظام القيمي.

لذلك، ما إن تبدأ الدولة بترسيخ قيمة المواطنة كخط استواء ومحك عام فإن محركات الطائفية ستظل فاعلة ما لم يمدّ ممثلو الدين يدهم لمباركة تلك القيمة الغائبة.

لو أردنا تلخيص مهمة الفريقين في هذه المرحلة وفي أي مرحلة لاحقة لأمكن تحديدها في انتزاع المخالب من جسد الآخر والانشغال التام بالذات، من أجل إعادة اكتشافها ومراجعتها ونقدها رجاء إصلاح مواطن العطب فيها، وهي مهمة كفيلة بتمهيد أرضية التعايش مع الآخر. ولابد لي في الأخير وتقديراً لجرأة مراجعة الذات من الإشادة البالغة بمن اقتحم مضمار المراجعة في الجانب السلفي أمثال عبد العزيز القاسم ومحمد علي المحمود وعبد العزيز الخضر والشيخ حسن فرحان المالكي. لقد عوّدني بعضهم على اطلاعي على ما فاتني الاطلاع عليه من نتاجات المراجعة في الجانب السلفي، ويخيّل لي أحياناً أن ما يقوم به بعضهم ليس أكثر من إبلاغي رسالة أخرى أي: بصحة ما هم عليه، بدليل أن الآخر قد شرع في مراجعة ذاته، وكنت أتطلع لأن يبدأ الجانب الشيعي مراجعة ذاته أيضاً أسوة بهؤلاء الأشخاص، ولكن مازال بعضهم مشغولاً في رصد مراجعة الآخر وإغفال الذات التي تتطلب دون ريب جهداً ذهنياً موازياً وبالقدر نفسه من المراجعة وربما أكبر.

*****

فهد إبراهيم أبو العصاري(*)

الشيخ الصفار - الحوار الوطني والمكاشفات

تستريح نفسك للجلوس معه ولو كنت تجالسه لأول مرة. فهو فنان في رفع التكاليف غير الضرورية عن مُجالسه. بشره وابتسامته وطيب حديثه يجعلك تحس أنك تعرفه منذ أعوام. يقفز فوراً إلى قلبك وسوف تتعجب من نفسك كيف أحببته بعد وقت قصير من لقائك معه.

إنه سماحة الشيخ الفاضل حسن موسى الصفار. التقيته مرتين قبل الحوار الوطني إحداهما في القطيف وتحديداً في مجلسه والثانية في المدينة لدى أحد أصدقائه. كان اللقاءان دافئين وفعلاً خرجت منهما وأنا أحس بأنني أعرف سماحته من سنوات.

في الحوار الوطني الأول الذي عقد في الرياض في الحقبة من ١٥-١٨/٤/١٤٢٤هـ التقيته في السكن المعد للمشاركين أول ما وصلت، وأذكر أنني كنت مسروراً للقائه وبادلني بدوره الشعور نفسه.

وفي جلسات اللقاء كان واضحاً أنه يمثل الطائفة الشيعية في المملكة مع عدد آخر من المشاركين. إلاّ أنه كان مميزاً بلباسه الديني؛ العمامة البيضاء وعباءة المشائخ. كان فارساً في ذلك الحوار بل نجماً من نجومه. كان يتحدث بلغة عربية فصيحة يرتجلها ارتجالاً. وكان حديثه دائماً مرتباً ومتسلسلاً دون أن تكون أمامه

(*) تربوي وباحث إسلامي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالمدينة المنورة.

ورقة يقرأ منها. تحس وأنت تستمع إليه أنك أمام عبقرية فذة وشخصية متميزة وعالم جليل يسعى دائماً للإصلاح. نبرة حديثه أخوية بعيدة عن الفئوية والطائفية على الرغم من تمسكه بما يعتقده حقاً. فهو لا يغمط الآخرين حقوقهم، ويكنّ لهم كل احترام وتقدير.

أما على هامش الجلسات فيبدو لي أنه كان الأكثر نشاطاً من جميع المشاركين. فقد زار معظم إخوانه في غرفهم. استمع إلى أحاديثهم وأسمعهم مما لديه، وكان حريصاً على زيارة المخالف - إن صح التعبير - قبل المؤالف هادفاً إلى كسر تلك الحواجز الجليدية التي فصلت طويلاً بين مُثقفي المجتمع مما انعكس على أفراد المجتمع ككل دون أن تكون هناك أسباب مقنعه للجفوة الموجودة بين الناس. إن نقاط الاتفاق بين المسلمين أكثر بكثير، بل وأهم بدرجة عالية من نقاط الاختلاف. ونقاط الاختلاف على قلتها تثري منها العملية الثقافية، ومن شأنها أن تشحذ الهمم وتساعد على نتاج فكري مستنير. والشيخ الصفار - حسب ما أعتقده - يؤمن بأهمية الاستماع إلى الآخر والاستفادة من آرائه. وعليه فهو يوظف نقاط الاختلاف - إن وجدت - للتعلم والتعليم وكشف الأخطاء وإبراز وجهات النظر حولها، وتبني الصائب منها، واحترام الآراء الأخرى على كل حال. فالرجل ينصف الآخرين من نفسه قبل أن يطلب منهم أن ينصفوه، ويحترمهم ولو علم أنهم لن يحترموه. وهذا لا شك يعكس استفادته من دراسته الشرعية والعقدية والأخلاقية لمذهب أهل البيت - رضي الله عنهم -. كما أنه واضح أنه استفاد من سيرتهم كثيراً. أذكر أنه في إحدى جلسات المؤتمر قال آخر متكلم في الجلسة: إن الشيعة والسنة يكفرون الإسماعيليين، مما أثار حفيظة الإخوة الممثلين للمذهب الإسماعيلي في اللقاء. فلم يرضى الشيخ الصفار أن تقفل الجلسة بتكفير لأي مسلم؛ فأوضح بجلاء وبأدب جم في الوقت نفسه أن الشيعة الإمامية لا يكفرون الفرقة الإسماعيلية ولا غيرهم، وطالب برد الاعتبار لمن وقع عليهم الأذى، وأوضح أن مثل

هذه الأفكار لا تساعد على وحدة الصف، فكان تدخله هذا محل إعجاب الجميع. وفي ختام اللقاء التقى المشاركون بسمو ولي العهد وكان شيخنا الصفار أحد المختارين للتحدث أمام سموه، فارتجل كلمة رائعة وضافية أوضح فيها أهمية اللقاء وأجواءه، وإثر ذلك لاحظت أن كثيراً من أصحاب السمو الأمراء كان يعانقه عناقاً حاراً ويشيد بدوره في المؤتمر.

أما في اللقاء الوطني الثاني للحوار الفكري الذي عقد في مكة المكرمة في المدة من ٤-١٤٢٤/١١/٨ والذي ضم نخبة طيبة من أطياف المجتمع المختلفة فقد برز الصفار كعادته في كل جلسات الحوار بمداخلاته وأفكاره النيرة مما جعله محط أنظار رجال الإعلام من صحافيين ومراسلي قنوات فضائية وغيرهم، وواضح أن علاقاته الشخصية توطدت مع كثير من المشاركين في اللقاء، وكان يمارس دور إصلاح ذات البين بين الأعضاء في حالة اختلافهم إلى درجة غير مرضية. وحيث إن الجميع كانوا يحترمونه فقد كانوا في الغالب يستجيبون لآرائه فتهدأ العواصف ويعود الحب والانسجام إلى جميع الأفراد الذين يهدفون - والحق يقال - إلى الإصلاح وإن أخطأ بعضهم الطريقة والوسيلة إلى ذلك، والشيخ الصفار لا شك رجل حوار من الطراز الأول يحاور بوضوح وشفافية تامة مالكاً لناصية الدليل على ما يعتقد ويقول، وفي الوقت نفسه يفرض احترامه على الطرف المقابل؛ لأنه شخصياً يحترم محاوريه ويهتم بآرائهم ويناقشها بأسلوب راقٍ وأدب جمّ بعيداً عن التجريح سواء بالتصريح أو بالتلميح.

وقد استطاع بحنكته وخبرته أن يعقد الكثير من الحوارات حول كثير من القضايا سواء على هامش اللقاءات الوطنية للحوار الفكري أو بعدها. ولا شك في أن أثرت الساحة الأدبية والدينية بخطاباته ومحاضراته القيمة، فأصبح له جمهوره الذي ينتظر منه كل جديد في كل وقت وفي كل مكان من أرجاء المعمورة سواء عبر الصحف أو عبر مؤلفاته ونشراته الدورية، أو عبر الأشرطة المسجلة بصوته، أو عن طريق الأسطوانات المدمجة، أو عن طريق موقعه على الشبكة العالمية.

وقد كان لمكاشفاته عبر ملحق (الرسالة) في جريدة (المدينة المنورة) التي حاوره فيها الصحفي البارع سعادة الأستاذ عبد العزيز قاسم، ونشرت على مدى خمسة أسابيع أثر كبير على الساحة الصحفية.

وفي بعض الأماكن ربما نفدت صحيفة المدينة يوم الجمعة في زمن قياسي، وذلك دلالة على أن أعداداً كبيرة من المواطنين ومن غيرهم أيضاً يحرصون على متابعة تلك المكاشفات.

وفي نظري فإن هذه المكاشفات لا تقل أهمية عن حوارات شيخنا الصفار بل ربما فاقتها أهمية لكون الحوار كان ضمن قاعة محدودة ومع أناس معدودين، بينما انطلقت المكاشفات إلى كل أرجاء الدنيا عبر صحيفة (المدينة) الغراء وهي لا شك تفوق مداخلاته في الحوار من حيث الكم.

أما من حيث الكيف فيبقى (الشيخ الصفار) الأنموذج النادر وضوحاً وصراحة وأدباً وحرصاً على الوحدة الوطنية. كان يجيب على كل التساؤلات التي وجهت إليه بشفافية ووضوح ملتزماً خط الأدب العام الذي رسمه لنفسه. فهو يقول ما يعتقده حقاً دون تجريح للآخرين. فالإيمان بمبدأ ما لا يعني إلغاء حق الآخرين بالإيمان بمبادئ أخرى يرتضونها. واختلاف الناس لا يعني وجوب إقصاء بعضهم لبعض بل ولا استجابة.

نعم ليس من حقي أن ألزم الطرف المقابل بالأخذ بمبادئي التي أعتقدها صحيحة، وفي الوقت نفسه على الطرف المقابل أن يعرف أنه ليس من حقه ولا يجوز له إلزامي بما يعتقده صحيحاً. وفي هذه الحالة على الجميع الالتزام بمبدأ احترام الآخر والعيش في جو أخوي تظهر فيه روح المواطنة الصادقة.

إن الشيخ حسن الصفار اليوم يعد ضمن الصف الأول من رجالات الفكر الداعين للألفة والتماسك والمحافظة على الوحدة الوطنية، فسدد الله على الخير خطاه وأكثر من أمثاله، وجزاه على صنيعه لوطنه وأمته خير الجزاء، وكتب ذلك في ميزان حسناته، إنه سبحانه وليّ ذلك والقادر عليه.

محمد عطية(*)

المكاشفات من النظرية إلى التطبيق(**)

إن اللقاء الطيب الذي دعا إليه الأستاذ عبد العزيز قاسم وجمع فيه نخبة من المثقفين مع ضيف مكاشفاته الأخيرة سماحة الشيخ حسن الصفار أبرز أن المكاشفات لم تكن إثارة أو سبقاً صحفياً فحسب بقدر ما هي إحساس بالوطن وأهله ومحاولة لدراسة الواقع وتطوير إيجابياته ووضع الحلول المناسبة لإلغاء سلبياته. فالدعوة كانت لتفعيل أطروحة تبناها سماحة الشيخ حسن الصفار دعا فيها إلى الوحدة الوطنية بين أبناء هذا الوطن على مختلف أطيافه.

وعندما نناقش هذا الحدث فلا بد من أن نشير إلى جهتين:

الأولى تلك الروح الوطنية التي يحملها الأستاذ عبد العزيز قاسم التي جعلته يتابع موضوع المكاشفات وما جاء فيها بعد نهايتها ومحاولة تفعيلها وإبرازها واقعاً ملموساً على أرض الحقيقة لا على صفحات الصحيفة فحسب. وهذا دليل على ما يتمتع به هذا الطموح المخلص من تفهم حقيقي لدور الإعلامي الصادق الذي لا يكتفي بالسبق الصحفي وطرح الأخبار والأفكار دون فائدة بل قدم لنا أنموذجاً للعمل الصحفي الذي لا تخلو الأطروحة فيه من محاولة التطبيق، ولما استشعر أهمية الوحدة الوطنية في رأب الصدع وسد باب الفرقة والبغضاء ونبذ العصبية

(*) أحد طلبة العلم الشرعي الشيعة من القطيف.

(**) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ١٢ القعدة ١٤٢٥هـ - ٣ ديسمبر ٢٠٠٤م.

الممقوتة وما في ذلك من قوة لوطننا العزيز ودحر للمتربصين به شراً ما كان منه إلا أن جعل المكاشفات دراسة لمشروع يخدم الوطن والأمة.

أما الثانية فقد تمثل في ذلك الطرح الهادئ من ضيف المكاشفات سماحة الشيخ حسن الصفار وهو صاحب اللباقة والحصافة المتميزة، طويل البال عند الاستماع عميق الفكرة عند الإجابة. فما كان منه في المكاشفات كان منه في ذلك اللقاء، حتى إن المؤيد لأفكاره يفضل السكوت لتمام بلوغ الفكرة محلها، فلا هي بحاجة للبيان ولا للشرح. وكعادته حين قدم الأطروحة دعمها بما يسد الثغرات من كل جهة؛ فقد دعا أولاً أهل البيت الواحد إلى الالتفات إلى أن أرض البيت هو الوطن، وسقف البيت هو الإسلام، ولا بيت دون أرض أو سقف. والكل يعيش على هذه الأرض والكل يستظل بهذا السقف، فلا مزايدة في حب الوطن لفئة دون أخرى، فالكل للوطن حباً وانتماءً. وأما السقف فالكل يؤمن بأركان الإسلام الخمسة، وهي إشارة إلى أن المشتركات فاقت نواحي الاختلاف، وأهل البيت الواحد الذين أرضهم قبلة المسلمين وسقفهم راية التوحيد أقدر على التعايش والمحبة وتضييق هوة الخلاف بل وحجزه. وثانياً لم تفتّه الإشارة إلى أن المشروع الوحدوي لا يقوم على تنازل كل طرف عن طيفه أو مذهبه، فالمذاهب واختلافها واقع وحقيقة تاريخية قائمة إلى يومنا وإلى غد ولا سبيل لإلغائها. ولذا فلا يقل أي طيف عن الآخر في عرض أدلته وقوته وتمسكه وانطلاق الكل على تنوعهم من الإسلام الواحد، ولذا بين أننا لسنا في معرض ذلك بل في معرض توحيد الأمة في ما اتفقت عليه، وأن نحسن الظن ونعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، وذلك انطلاقاً من ديننا الإسلامي الواحد وخدمة للوطن الواحد الذي يضمنا كلنا ونحبه كلنا. ومن هنا أشار ثالثاً إلى الخصوصيات التي يختص بها كل طيف عن الآخر. فالخصوصيات حقيقة لا بد منها ولكن حتى يستثني ما يجب استثناؤه أشار إلى أن تلك التي تثير الطرف

الآخر أو تهيج مشاعره أو تطعن في رموزه فهي لم تكن من الخصوصيات يوماً بل هي مرفوضة ومحرمة، فالتعايش لا يقوم على التناحر وعلى ضرب الرموز أبداً.

لقد استغرب أحد المشاركين أن اللقاء تميز بالاتفاق بين الحاضرين ولا أجد فيمن ينطلق من فهم حقيقي للإسلام ومن حب لهذا الوطن أي استغراب من هذا الاتفاق وحتى هذه المبادرة هي انعكاس إسلامي؛ لأن ديننا الإسلامي لم يقدم لنا النظرية بل طالبنا بالعمل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾.

إن هذا المشروع الذي بدأ بالمكاشفات في ملحق الرسالة كحبر على ورق، وانطلق ليكون مشروعاً في أذهان المهتمين بشؤون الوطن بحاجة أن يتناوله العلماء والمفكرون، وأن يكون محور التناول والدراسة تحقيق الأوامر الإلهية المتمثلة في دعوته لنا بالاعتصام والوحدة ونبذ الفرقة وأثر ذلك في قوة بلادنا وتماسكها وأن نكون صفاً واحداً في وجه كل من يريد بها سوءاً.

مشكلة النص وقراءته والردود على المكاشفات

السني يشهد الشهادتين ونحن نزوجه ونصلي خلفه، ونأكل ذبيحته ومن أهل الجنة فكيف يكون كافراً؟

عند قراءة النص الشيعي لا بد من فهم تامّ لما يريده الشيعة من معانٍ فيه قبل إصدار الأحكام بفهم مخالف لفهمهم ومحاسبتهم عليها؟

لا بد من هجر القراءة المشبعة بسوء الظن واستبدال قراءة ملؤها حسن الظن في الغير بها، وهدفها وحدة الأمة وقوتها.

لنستفدْ من مبادرة الحوار الوطني في تعميق الفهم والتقارب لا في تعميق التفرقة.

بنود الشيخ الصفار للتقارب عرضت في المكاشفات فتركت انطباعاً توضيحاته عن المذهب بأنها غير صحيحة.

إن وحدة المسلمين سر قوتهم، واختلافهم الفكري لا يفسد اعتصامهم بحبل الله سبحانه وتعالى، فالمنهي عنه الفرقة لا الاختلاف إلا إذا كان ذلك الاختلاف يؤدي للفرقة؛ فإن ذلك مما يضعف شوكة المسلمين. وطالما اتفق المسلمون في أركان دينهم وفي عصمة نبيهم ﷺ وسلامة كتاب الله تعالى من أي تحريف لا بالزيادة ولا بالنقصان ولا بالتغيير، فما شأن الاختلاف إلا في أمور اجتهادية تعود إلى الدليل وفهمه. لكنما أحياناً نجد أن هذا الاختلاف الذي لا يفسد في الود قضية مصدراً للفرقة وعدم الوحدة، والحقيقة ليست في الاختلاف وإنما في فهم الرأي المخالف على حقيقته، ولذا فلا بد لنا من أن نفهم أدب الخلاف كما علمنا الإسلام؛ ليكون الاختلاف تنوعاً يقوّينا لا أن يكون مصدراً لفرقتنا خاصة أن المنبع واحد. ولقد لاحظت بعد نشر ملحق الرسالة في جريدة المدينة مكاشفاتها مع سماحة الشيخ حسن الصفار - حفظه الله - قد انهالت العديد من المشاركات ما بين مؤيد ومخالف لها. وعلمت أن كثيراً اعترضوا على نشرها كما أن الكثير اعترضوا على نشر الردود المخالفة لها، وكان رأي الأستاذ عبد العزيز قاسم أنه لا بد من الرأي والرأي الآخر حتى يكتمل الحوار ويظهر الصواب، ولقد أيدته مراراً وتكراًرا وقلت إن الحوار لا يكون من طرف واحد بل لكل طرف أن يقدم رأيه، ولا يتجلى الصواب إلا بعرض كل طرف ما في جعبته، وقد جاء عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «اضربوا الرأي بالرأي يتولد الصواب». ولقد لخصت تقريباً أهم ما دار في الردود على الشيخ في مكاشفاته فوجدت أن أمراً كالتقية أسهب الشيخ في توضيحها فبقيت كما هي، بل رمي الشيخ باستخدامها في أقواله، ومما لا شك فيه وجوب أن نميز بين النظرية والتطبيق فالآيات التي تحدثت عن التقية كقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ أَن

﴿تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ والأحاديث الشريفة الواردة في هذا الشأن: «التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له» كل هذه ناظرة إلى النظرية حيث إنها تثبت أن التقية مفهوم إسلامي أثبته القرآن الكريم وأما التطبيق فقد حددته الآية الكريمة فقالت مستثنية ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ....﴾ وهذه حدود التطبيق، فإن استلزم أمر كما جاء بالآية الشريفة وإلا فلا وجه لتطبيقها. وعدم تطبيقها ليس له علاقة بالإقرار بأنها مفهوم إسلامي ذكرته الآيات الكريمة والعكس فإن الإقرار بها لا يعني ضرورة تطبيقها من غير وجه يستدعي تطبيقها. فكيف يرمى من هذا اعتقاده فيها بأن ما يقوله أصلاً تقية أو أنه يستخدمها في كل الأحوال أو أنها أصل من أصول الدين عندهم، وليس لي على غيري إلا ظاهره وأقواله تنفي كل ذلك، وهذه الأحكام الشرعية عند الشيعة لا تجيز العمل بها إلا في حالاتها التي تتعرض فيها النفس للخطر.

وبالتالي بعد دراسة الردود المتعارضة مع ما قاله الشيخ حسن الصفار عن المذهب الشيعي في المكاشفات وجدت أن المشكلة تكمن في قضية واحدة هي الفرق بين حقيقة النص ومراده والفهم الحاصل من قراءة النص لدى الإخوة الكرام والفهم الشيعي لهذه النصوص. وبالتالي نتجت مشكلة أخرى تمثلت بتحميل النص ما لا يحتمل والخروج عن تصريحات القوم وهم يدلون بها في كل مكان وزمان. ولتوضيح المطلب ذكر الشيخ عبد الرحمن القحطاني في ندوة عقدت في جريدة المدينة تعليقاً على الفرق بين النص وقراءته وكذلك تحميل النص ما لا طاقة له وهو ما مثله الشيخ بالحوار التشكيكي الذي لا يبنى على حسن الظن فقال: «بالنسبة للحوار فهو على قسمين مهمين: الأول إيجابي وواجب وقد تكلم الحضور عنه كثيراً والثاني تشكيكي.. وقد ورد أن رجلاً في عهد عمر كان يثير القضايا ويشكك في أمور كثيرة من أمور الدين، مما جعل عمر يضربه بالدرة، حتى يسكت؛ لأنه لا يمكن أن يستفيد

المسلم من مثل هذا الحوار التشكيكي.. القضية الثانية التفريق بين النص وقراءة النص ليس تفريقاً صحيحاً» وعقب فضيلة الشيخ عايض القرني حفظه الله على ذلك قائلاً: «الفرق كبير بين النص وقراءته، فالنص هو القرآن والسنة، وهو ثابت، وقراءة النص هو الشرح والتوضيح». ولنرَ ذات القضية النص وقراءته في زمان المصطفى ﷺ، قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء، حدثنا جويرية بن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلّين أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي العصر حتى نأتيها. وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منّا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدًا منهم.

فإذا كان هذا في عهد المصطفى ﷺ ولم يحمل النص معانٍ أخرى خارجة عن نطاقها، وقد ثبت النص واختلف في تفسيره كما تبين وعلى الرغم من ذلك الاختلاف لم يعنف صلوات الله عليه وآله أحداً. لكن الأمر ذكر له ليعرف المراد من خطابه الشرعي. وهذا هو الحق فلا بد عند قراءة النص من الغير من أخذ الفهم والتفسير التام له من عنده، حتى لا أفسر نصه بتفسيري، وأحاسبه بفهمي، وهو لا يريد ما وصل إليه ظني. فقبل أن نشير إلى أمر لا بد من الاطلاع التام على معناه عند القوم وليس الأخذ به وتفسيره بتفسير يخالف منهجهم في التفسير. إن المسائل الخلافية لكل مذهب لا يجب أن تبين على يد علماء المذهب، وبالعودة إلى المصادر المعتبرة عندهم فحسب بل لا بد من فهم واستيعاب منطوق أرباب المذاهب وأقوال تلك الكتب المعتبرة لا مستلزمات الأقوال وظاهرها وتفسيرها بغير طريقتهم، ومن ثم محاسبتهم عليها خاصة مع اختلاف عرف المصطلحات بين المذاهب أحياناً ودرجات استخدامها. فمثلاً كلمة (المخالف) لها درجات في استخدامها، فقد يكون المخالف في رأي قل أو كثر فلا يفسد ذلك في الود قضية، وقد تزداد درجة

المخالفة فتكون في العقيدة وهكذا، فكلمة المخالف التي وردت في بحوث الخوئي والتي نقلت من مصباح الفقاهة والقول بالتكفير للمخالف لا يمكن أن يستقيم عقلاً ولا منطقاً بأهل السنة والجماعة، والأدلة عديدة ومنها:

كيف يقول الشيعة بكفر من يشهد الشهادتين ويصلي الفروض الخمس ويصوم الشهر ويحج ويعبد الله وهي ذات الأسس في صحة إسلامهم؟

كيف يكون كافراً والخوئي وغيره من علماء الطائفة يجيزون زواج الشيعية من السني ما لم يكن ناصبياً؟ فكيف يكون كافراً وأهل القبلة بنص القرآن الكريم حرموا ذلك الزواج؟ وكيف يقول بكفرهم من يجيز الزواج منهم؟ ألا يستلزم الأمر دقة البحث وسعة النظر والتعرف على المصطلحات وعمق استخدامها؟ أوَلا يثير ذلك فينا خلقاً إسلامياً جميلاً هو حسن الظن؟

في الفقه الشيعي يحرم تناول ذبائح الكفار، ولكنهم يأكلون ذبيحة المسلم السني، وكل ما يوجد من ذبائح في أسواق المسلمين السنة هو حل لهم.

أويدخل الكافر الجنة وهاهم الشيعة يروون في كتبهم دخول السني الجنة؟ فكيف يصدق عليهم الكفر؟ ففي كتاب الخصال عن الإمام الصادق عن جده قال: «إن للجنة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب تدخل منها شيعتنا ومحبونا، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مثقال ذرة من بغضنا أهل البيت».

والعجب العجاب كيف يصح أن يقال إن معنى الكفر موجه لأهل السنة والجماعة ومراجع الشيعة يفتون بالصلاة خلف أئمة أهل السنة والجماعة، بل أفتى بعضهم بحرمة الصلاة أيام الحج في الفنادق والبيوت، وعلى الكل أن يصلوا في

الحرمين الشريفين وسائر مساجد المسلمين. وهذه رواية تثبت ذلك حيث يذكر الشيخ الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه عن محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق أنه قال: «من صلى معهم في الصف الأول كان كمن صلى خلف رسول الله ﷺ في الصف الأول».

إنما ذلك الاستثناء في قضية الزواج يوضح من هو المخالف هنا في العبارة المنقولة فهو الناصبي، وهذا ما قاله علماء الشيعة، وقد علق أحد مراجع الشيعة وهو الشيخ ناصر مكارم الشيرازي على ذلك قائلاً: «ما ذكره هؤلاء الأعلام بالنسبة إلى المخالفين مرادهم هم المعاندون الناصبون الذين نصبوا العداوة لعليّ وأولاده ولأهل البيت) كالخوارج وغيرهم من أشباههم؛ فإنهم خارجون عن طريق المسلمين». وبالتالي اتضح أن المقصود من المخالف لا ما ذهب إليه بعض الأساتذة الكرام. ولا نحمل النصوص أكثر من طاقتها، فسلوك العلماء والشيعة دليل على عدم وجود التشنج في كتبهم نحو إخواننا أهل السنة، ولو كان الأمر فعلياً لوجدنا انعكاساً له، وإن كان موجوداً من معدودين فلا تعميم. فالتشنج والتطرف ناشئ بين المتوافقين، فكيف به بين المختلفين؟

إن دعوة الشيخ حسن الصفار للوحدة والتقارب لم تكن من خلال طرح المطالب أو إدانة المخالفين أو إلقاء التبعة على أحد، فتلك أمور والدعوة للتقارب أمر آخر، وهو مشروع دعا إليه وقدم ما يلزم لنجاح المشروع من جهته.

إنما هي دعوة لتصحيح قراءة الآخر وقبول كل طرف باختلافاته مع الطرف الآخر مع اجتناب تلك الاختلافات التي تضر أو تجرح مشاعر الآخر، إنها دعوة لأن نجتمع على ما اتفقنا عليه وأن نعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه، وهذا العذر لا يحصل إلا بحسن الظن الذي أمرنا به، وأول مظاهر حسن الظن أن نفهم منطوق المتحدث على ما ينبغي كما أسلفنا، فحينما يقول الشيخ حسن الصفار مجيباً على سؤال

حول كتاب الإمام الخميني في كشف الأسرار (فأنا لم أقراه لكنني قرأت عن الكتاب أنه قديم ألفه الإمام الخميني في مطلع شبابه ثم رفض إعادة طبعه قبل وبعد قيام الجمهورية الإسلامية، وقد تشكلت مؤسسة لحفظ آثاره وطبعها وأهملت هذا الكتاب، وكتب الدكتور إبراهيم شتا الدسوقي من مصر وهو متخصص في الأدب الفارسي أن الترجمة العربية للكتاب مشوهة جداً وغير صحيحة) لم يقل لا أعرف، ولكنه صرح بما لديه من معلومات حول الكتاب الذي تبين أن كثيراً من المصادر طعنت في ترجمته. وأما كتابته عن فكر الإمام الخميني لا يستدعي منه أن يقرأ كل مؤلفاته، فقد يستقرئها من جملة كتبه أو من أهم مؤلفاته واتجاهاته وقراءة الآخرين له، ولا تتوقف على قراءة كتاب واحد، فماذا لو ألّف كشف الأسرار بعد كتاب الشيخ الصفار عن الإمام الخميني؟ ماذا نقول حينئذ؟ والقضية نفسها تتكرر مع عبارة أخرى تنقل عن الشيخ حسن الصفار من كتابه (الإمام الشيرازي، ملامح الشخصية وسمات الفكر): متحدثاً عن الشيرازي: «يميل إلى القبول بكل ما ورد في الكتب الأربعة، ومن النادر جداً أن يرد رواية من الروايات» ثم يقيم القارئ للعبارة قياساً مفاده أن الشيرازي مرجع لشريحة واسعة من الشيعة، فبالتالي سوف يكون أتباعه كلهم يقولون بصحة ما جاء في الكتب الأربعة!! فالمراد من الميل هنا ليس الأخذ بكل ما ورد في الكتب الأربعة على نحو الصحة، وإنما الميل بعدم رد أي رواية يمكن أن تجد لنفسها سبيلاً للقوة على سبيل تقوية الضعيف وما شابه، والدليل على ذلك أن الشيرازي قد رد روايات كثيرة ولم يقبلها، وأبرزها روايات تحريف القرآن. ولكن لنفترض أن الشيرازي له منهج في الأخذ بالرواية قريب مما قيل عنه فهذا لا يدل على قبول الكل أو تصحيحه لكل الروايات بدلالة ما ذكر سلفاً من رده لبعضها وأما القياس الذي استخدمه الأستاذ الكريم مستفيداً من الميل المذكور في عبارة الشيخ الصفار وربطها بمرجعية الشيرازي لشريحة من الشيعة فبالتالي وجب عليهم القول

بقوله، وهذا كسابقه يحتاج لفهم تام لمنهجية الشيعة في هذا الموضوع حتى نعلم أن القياس المذكور يصح أو لا يصح؟ إن أخذ الشيعي من الشيرازي أو من غيره من المراجع أخذٌ فقهي فإذا اطمئن إلى أن ما صدر عن الفقيه فيها كان ناتجاً عن الروايات المقبولة وقد تسالم عليها الفقهاء فلا بأس به، وأما لو علم أنه له رأي تاريخي في قضية ما أو أمر غير فقهي وناتج عن رواية ضعيفة فليس من الواجب على الشيعي أن يأخذ بهذه الرؤية، فمفهوم التقليد ليس بمعنى أن يكون في الفقه وغير الفقه، بل لا بد أن نلحظ فرقاً بين الحكم والموضوع؛ فالموضوع وإن أفتى الفقيه فيه فتشخيصه موكول إما لأهل الخبرة أحياناً وأحياناً موكول لذات المكلف، والحكم بناء على التشخيص.

وقد تظافرت كلمات العلماء في التصريح بعدم القول بصحة كل ما في الكتب الأربعة من الروايات بل أشار بعضهم إلى مقدمة هذه الكتب على أنها تشير إلى ذلك، وردّ على هذا أبرز علماء الطائفة وأشهرهم، ولا بد والحال هذه أن يميز القارئ الكريم الفرق بين القول بصحة الأحاديث الواردة في هذه الكتب وبين الثناء عليها أو على أصحابها، فالثناء وارد لما بذل من الجهد في الجمع والضبط والتصنيف ونحوه، وكل كتاب يتميز بسمات قد توافق غيره وقد تميزه، لكن الثناء ليس قولاً بصحة ما في الكتاب الذي قد لا يرى المؤلف نفسه صحة كل ما فيه. ولذا فالثناء عليه لا علاقة له بصحة الرواية من عدمها. ومن ذات المنطلق نناقش الروايات القائلة بالتحريف، وكما ذكر الشيخ حسن الصفار في المكاشفات وسبقه علماء الطائفة بعدم القول بتحريف القرآن وهذا قرآننا هو قرآنكم ولا مجال لمناقشة هذا القول؛ لأنه قول لا يقبله العقلاء، فكيف يقبل الشيعة قولاً بالتحريف في كتاب تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه؟ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

أتوجد قوة تنازع القوة والضمان الإلهي بالحفظ؟ ذلك أمر لا يقبل النقاش، وليس محلاً للأخذ والرد بعد وجود الدليل القرآني بذلك فكفى. ولهذا فمنطلق هذه الأقوال ناتج عن عدم الاطلاع الكامل الذي حاول الأستاذ عبد العزيز قاسم أن يوضحه ولو بشكل مختصر عبر مكاشفاته مع الشيخ حسن الصفار؛ ليكون الأمر واضحاً وترتفع الشبه ويزول الغموض، فتجد من الردود من يناقش قلة الروايات الواردة عن رسول الله ﷺ في كتب الشيعة، وإن جل الروايات عن الإمامين الباقر والصادق، وهذا من جنس تلك، فإن الرواية في كتب الشيعة تأتي من راوٍ عن راوٍ حتى تنتهي بأحد الأئمة الصادق أو الباقر أو علي بن الحسين أو الحسن أو الحسين، فإذا وصلت عند أحدهم قلنا بأنها مروية عن رسول الله ﷺ وبالنتيجة تكون كل الروايات مروية عنه، وروى الشيخ الكليني في الكافي ٤٢/١ بإسناده إلى هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيرهما قالوا: سمعنا أبا عبدالله يقول: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل».

وقول الإمام جعفر بن محمد الصادق للسائل الذي سأله: «بم يفتي الإمام؟ قال: بالكتاب، قال: فإن لم يجد؟ قال: بالسنة». «إذا حدثنا لا نحدث إلا بما يوافق كتاب الله، وكل حديث ينسب إلينا لا يوافق كتاب الله فاطرحوه».

وهذه المختارات من الأحاديث توضح اتصالها برسول الله ﷺ فلا يؤخذ على الشيعة قلة الرواية عن الرسول ﷺ؛ لأن كل الروايات التي يثبت صحة صدورها عنهم فهي واردة عنه ﷺ، وقد اتضح أيضاً أن السنة لا بد من أن تتفق مع كتاب الله الكريم. ويفسر هذا ذلك التقارب الكبير في العديد من الأحكام بين المسلمين؛ لأن المنبع واحد، والكتاب واحد، والرسول واحد، والرسالة واحدة.

وفي نهاية المطاف لست مطالباً ولا منتقداً بل أنا مسلم حالم بيوم يتوحد فيه أهل لا إله إلا الله، محمد رسول الله كما توحدوا في كلمة التوحيد ورسالة المصطفى ﷺ وفي إقامة الصلاة جمعت أو فرقت، وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، وفي قبلة واحدة، وفي قرآن واحد، وفي دعوة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي أمر بالستر والعفاف والحجاب للمرأة، وفي العودة لمكارم الأخلاق، وفي صيانة الإسلام، ورد أعدائه، فهلا تركنا تلك القراءة المفرقة لقراءة أخرى تبعث على أمل الوحدة للأمة، إننا نعيش على أرض تهيأ لها وقدر لها أن تتشرف بأن تكون قبلة المسلمين، وفيها مسجد نبيهم صلوات الله عليه وآله، ففي أرضنا كل معطيات الوحدة التي نحلم بها، فلم يسبقنا بها غيرنا ونحن نملك المعطيات بل حتى قيادياً لما علمت القيادة الحكيمة أن الحوار ليس من شأنه تقريب وجهات النظر فحسب بل من شأنه أن يطلع كل طرف على منهج الطرف الآخر فتستقيم القراءة من كل جهة، وتحسن الظن بها، فأمرت بإقامة الحوار الوطني ورعته و دفعته كمبدأ إسلامي في أصوله، فأصبح رغبة شريحة كبيرة من شعب هذه البلاد المباركة الذين ولدوا على الإسلام، وتربوا في أحضانه، فاندفعوا إليه والقيادة شجعتهم، وفتحت لهم الأبواب لذلك، فيا ليتنا نستفيد من هذه المباركة الحكومية، وندفع بعجلة الحوار لما فيه خير ديننا وبلادنا وأمة الإسلام بشكل عام حتى نصل إلى مقام قال فيه المصطفى ﷺ فيما يرويه مسلمٌ والبخاري من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «**المسلمون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

وبعد أن قدمت الدولة ما ينبغي في مسألة الحوار بقي جزء من التفعيل من شأننا ودورنا نحن أئمة المساجد وأصحاب المنابر والأقلام ومعلمي الأجيال والوعاظ، وكل حسب قدرته إذا استشعرنا أهمية الأمر في ديننا وقوته ودفعه

للأخطار عن وطننا، وقد طرح الشيخ حسن الصفار مجموعة من البنود لم نجد من يركز عليها من خلال الردود والتعليقات إلا القلة وباختصار شديد، إذن فلنعد النظر فيها لننطلق منها لتحقيق الهدف الأسمى المتمثل في وحدة أبناء الوطن تحت سقف الإسلام وهم أهله وعلى أرض الوطن وهم أبناؤه فالدين حصن لنا ولوطننا لا ينبغي أن ننفك عنه أو نتركه، وقد أمرنا به، فالدين عند الله الإسلام، وقد أنعم الله به علينا، فلنحمد ربنا على نعمة الإسلام في بلد أهله لا يعرفون ديناً سواه، وهذه البنود أسردها هنا:

حديث ولي العهد شكل لنا إيذاناً بمرحلة جديدة، وزادت تطلعات الناس وانتعشت آمالهم.

آن لنا بعد ١٤ قرناً من الصراع والانشغال بالاختلاف والفشل في تغيير الرأي أن نجرب عصراً جديداً في التحاور والتقارب.

مستعدون لميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية، ونؤكد فيه على وحدة الأمة وعلى مرجعية الكتاب والسنة.

إنني أرفض وأدين سب الشيخين، ومن ينال منهما متطرف أو جاهل.

يجب أن نبدأ بإيقاف الإثارة لكل الترسبات عبر وقف التعبئة والتعبئة المضادة، وتجريم ثقافة التحريض على الكراهية.

لقد قال السنة كل ما لديهم، وقال الشيعة كل ما لديهم، ولن يضيف أحد منهم شيئاً جديداً إلى ركام السجال المذهبي، فإلى متى الانشغال والاجترار؟

وفي الخاتمة فليعلم السني أن الذي يسيء للسنة فهو يسيء للشيعة والذي يسيء للشيعة فهو يسيء للسنة؛ لأن الإساءة لهما إساءة للإسلام فلنُعِد المراجعة مرة

أخرى، ولننطلق في حوارنا، ولنعمق هذه البنود ونجعلها واقعاً نعيشه، المسلم السني أخو المسلم الشيعي. وقد قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقد شهد الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة بأنها أمة واحدة على اختلاف مذاهبها وتعدد مدارسها واتفاقها في جملة رئيسة أساسية كأركان الإسلام وتباينها في جملة من الفروع، ولكن كل هذا لا يوجب انقسامها أو تفرقها؛ إذ قال الله عز و جل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. فلنعلق من جديد على المكاشفات، ولكن بقراءة أخرى هدفها وحدة الأمة الإسلامية ولننطلق من هذه البنود ونكتب عنها حتى نصل إلى الصيغة التي نتقارب بها مع احتفاظ كل بمذهبه المنطلق من الإسلام وباحترام كل طرف للآخر في رموزه وشعائره الخاصة.

*****

د.عاصم حمدان علي(*) :

وإني لأشهد لهؤلاء بما أتيقن وأعرف(*)

قلت منذ زمن: إذا كانت هناك دعوات تنطلق - جدية - للحوار والتقارب مع الآخر الذي يختلف عنا عقيدةً وفكراً - وهو الأمر الذي بدأ في عهد المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز وعقدت ندوات بين بعض علماء هذه البلاد وعلماء الديانة المسيحية - فإن الأولى بهذا التقارب هم المسلمون - أنفسهم - بجميع طوائفهم، وهو ما حصل شيء منه في ملتقيات الحوار الوطني، وكان الشيخ سلمان العودة (جزاه الله خيراً) سباقاً للقاء إخوانه في العقيدة من أمثال فضيلة السيد محمد بن علوي المالكي الحسني، والشيخ حسن الصفار، ومع بداية الحلقات التي أعدها الصحافي المرموق الأستاذ عبدالعزيز قاسم مع الشيخ الصفار والتي صرح الأخير فيها بأنه يرفض سب الشيخين أي سيدنا أبا بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عاداً من ينال منهما متطرفاً أو جاهلاً، أقول: مع بداية هذه المكاشفات التي يثرى بها الفكر، وتزيل الجفوة، وتصب في جمع شمل كلمة أبناء الوطن الواحد، قام الداعية المعروف الدكتور عوض القرني بزيارة إلى منطقة القطيف والتقى في زيارته علماء المذهب الشيعي وفي مقدمتهم الشيخ الصفار، وهو بهذا أي الشيخ القرني - جزاه الله خيراً - يضرب مثالاً رائعاً في سعة الأفق، ورحابة الصدر، وحسن الظن بعقائد المسلمين، وهو أمر كان يفترض حصوله منذ

(*) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ٨ رمضان ١٤٢٥هـ - ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٤م.

(*) أكاديمي وناقد أدبي سعودي

زمن بعيد، وهو وإن جرى متأخراً، إلا أنه يفترض أن يكون أمراً شائعاً بين علماء هذه البلاد ودعاتها ومفكريها، وليسمح قراء هذا الملحق الأغر للعبد الفقير إلى الله بتدوين بعض الملاحظات بعد عقود عديدة قضيتها في طلب العلم بين المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأخذت عن بعض العلماء فيهما، وجالست بعضاً آخر، وكلهم صاحب فضل وإحسان. لقد كان فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - لا يكفر أحداً من الجماعات الإسلامية، حتى وإن اختلف معها وهو ما ذكره لي أستاذنا محمد حميدة، أطال الله عمره. وكان على صلة وثيقة بالعلماء في المدينة المنورة وسواها، وكان لمدة من الزمن مسؤولاً عن الدروس العلمية في الحرم النبوي الشريف، كما أن فضيلة المرحوم الشيخ عبدالعزيز بن صالح إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف لحوالي نصف قرن من الزمن، كان هو الآخر من أكثر العلماء بعداً عن ألفاظ التكفير والتفسيق والتبديع، وكان يختار لإمامة المسجد النبوي الشريف الأكثر إتقاناً في تجويد كتاب الله مع الورع والتقوى - وعرض إمامة المسجد النبوي بعد انتقال الشيخ عبدالمجيد بن حسن - الذي كان معاوناً له في المحكمة الشرعية وفي إمامة المسجد - إلى الرياض، عرضها على جملة من أهل البلدة الطاهرة وفي مقدمتهم السيد علي كماخي وقد اعتذر عنها هذا الأخير من باب الورع والتقوى، كما أنه قدم في المحراب النبوي المشائخ، محمد الثاني، إبراهيم الأخضر، محمد أيوب. وكان فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد - أحد أبرز أئمة المذهب الحنبلي في هذا العصر بل ومجتهداً فيه - حريصاً على جمع كلمة علماء الحرم المكي، وقد روى لي فضيلة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان - عضو هيئة كبار العلماء - نقلاً عن أحد أقدم طلبة العلم الشرعي في الحرم المكي الأستاذ (الخراشي) بأن فضيلة الشيخ ابن حميد رأى أحد طلبة العلم يستهزئ بلباس أحد علماء الحرم المكي فنهره عن ذلك وقال له: هذا عالم من علماء الأمة إضافة إلى

انتسابه لآل البيت النبوي؛ من حثنا المصطفى ﷺ على الإحسان إليهم ومحبتهم، كما كان فضيلة الشيخ عبدالله خياط العالم السلفي المشهور وإمام وخطيب المسجد الحرام - على علاقة طيبة مع علماء المذهب المالكي وخصوصاً مع شيخنا الجليل محمد نور سيف هلال، كما كان كل من الشيخين عبدالله بن دهيش وعبدالملك آل الشيخ - رحمهما الله - على علاقة وثيقة بفضيلة العلامة - المحدث السيد علوي المالكي والد فضيلة السيد محمد علوي المالكي الذي كثيراً ما سمعته يثني على الشيخ (ابن حميد)، ومن جملة مآثره أي: الشيخ ابن حميد أنه بعد أن أخذ السيد محمد علوي مكان والده في الدرس سنة ١٣٩١هـ هنأه الشيخ ابن حميد على ذلك، ودعا له بالخير والتوفيق. وهذا صنيع أهل الفقه والدراية وأرباب العقل والحكمة. وأضيف أمراً مهماً هو أن المشائخ الذين التقيت بهم في مكة المكرمة، أو أخذت عنهم شيئاً من العلم، أو اتصل سندي في الرواية بهم وهم أصحاب الفضيلة المشائخ، حسن المشاط، حسن سعيد يماني، علوي المالكي، محمد أمين كتبي، الشيخ محمد نور سيف -، حسن فدعق، الشيخ عبدالله اللحجي، الشيخ محمد ياسين الفاداني، الشيخ ذكر يابيلا، الشيخ إسماعيل الزين، محمد علوي المالكي، وسواهم لا يتعرضون لأي من سلف الأمة وعلمائها بما يسيء، وينهون طلابهم عن فعل ذلك، كما أنهم جميعاً يترضون عن صحابة رسول الله ﷺ - دون استثناء - بل إنهم يقولون إن مشربنا وطريقنا هو عدم التعرض للصحابي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أو الطعن فيه، ويذكرون اسمه كبقية صحابة رسول الله ﷺ مسبوقاً بما يستحقه من لفظ (السيادة) أي: سيدنا معاوية، وهم أيضاً يذكرون الخلفاء الراشدين بما هو متعارف عليه عند أهل السنة والجماعة من تقديم أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي - رضي الله عنهم أجمعين - ومن هؤلاء العلماء الذين عرفت من ينتسب لأهل بيت النبوة، ولكنه لا يقدم علياً على أبي بكر - رضي الله عنهما -. وسمى أحمد

الرفاعي وأحمد مشيخ - أطال الله عمره - أبناءهما بأسماء أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -. لقد آن الوقت لأن يكف بعض طلاب العلم عن إخراج بعض الفرق الإسلامية من الفرقة الناجية وحصرها في جماعة بعينها، فأمة سيدنا محمد ﷺ ومن تعتقد بوحدانية الله، ونبوة سيدنا محمد ﷺ وشرع الله وقرآنه ووحيه هي بأكملها - أمتنا الإسلامية الواحدة - وهي الأمة الناجية بإذن من بيده مفاتيح السموات والأرض.. وهذه أحاديث رسول الله ﷺ تحذرنا أشد التحذير من رمي الناس بالشرك والضلال، أو أن ينصب أحد نفسه في مقام التفتيش عن عقائد المسلمين وإدخال هذا في النار، أو الآخر في العذاب المؤبد؛ ففي البخاري مروياً: «**يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها - أي: من النار - من قال: لا إله إلا الله**»، وفي صحيح ابن خزيمة أن النبي ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة**»، وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**، فقلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق؟ قال: **وإن زنى وإن سرق**»، وفي مستدرك الحاكم أن النبي ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ووجبت له الجنة**» وأخرج ابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**»، اللهم أرِنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرِنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

*****

صالح بن فوزان الفوزان(*):

حوارنا مع من يخالفنا في العقيدة(**)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

قد ظهرت في هذا العصر ظاهرة الحوار بين الطوائف المختلفة. والحوار في ذاته مع المخالف إذا كان القصد منه بيان الحق ورد الباطل فهو مطلوب ومشروع. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فندعوهم إلى التوحيد، وهو عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه. ولا يكفي الاعتراف بالربوبية فقط، ثم بعد بيان الحق تطلب المباهلة من المخالف المصر على الباطل وهي الدعوة باللعنة عليه. قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. وأما إن كان القصد في الحوار بيننا وبين من يخالفنا في العقيدة أننا نقبل شيئاً من باطله أو أن نتنازل عن شيء من الحق الذي نحن عليه فهذا باطل؛ لأنه مداهنة. قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾، لكن لا مانع من أن نتعامل مع المخالف في

(*) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ١٥ رمضان ١٤٢٥ - ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٤م.

(**) عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية

العقيدة بالعدل في حدود المصالح الدنيوية، وأن نحسن إلى من لم يسيء إلينا منهم كما قال تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾، وأن نفي للمعاهد بعهده والمستأمن بأمانه ونحترم دمه وماله كما نحترم دماء المسلمين وأموالهم. قال النبي ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين سنة». وهذا أمر متقرر في الشريعة الإسلامية لا ينكره إلا جاهل أو مكابر. وأردت بهذه الكلمة الرد على طائفتين من الناس. الطائفة الأولى التي تنكر التعامل مع المخالف في العقيدة مطلقاً والطائفة الثانية هي الطائفة المتميعة التي ترى أنه لا فارق بين أصحاب العقيدة الصحيحة وأصحاب العقيدة الباطلة وهي اعتبار: (الرأي الآخر) والواجب الحذر من هذه المبادئ الباطلة ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ وهو الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ وسار عليه الصحابة والتابعون وأهل السنة والجماعة من بعدهم. وليس المراد الإسلام المصطنع المخالف لما جاء به الرسول. ونقصد بمن يخالفنا في العقيدة كل من يريد غير الإسلام ديناً سواء أكان من الكفار أم كان من الفرق الضالة المخالفة لعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا نرضى بغير القرآن والسنة بديلاً ولا بغير الرسول محمد ﷺ قدوة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لا نقبل التلفيق ولا التملق والنفاق.

هذا ما أردت بيانه ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ ﴾.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

حمود أبوطالب(*):

حسن الصفار مواطناً

أجزم أن العمل الصحفي الذي أنجزه مؤخراً الأستاذ عبدالعزيز قاسم في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة عمل متميز بكل المقاييس والاعتبارات، سواء من جانب التوقيت واختيار الشخصية واختيار المحاور والتسلح بخلفية كبيرة من المعلومات، وكذلك التمكن من أساليب الحوار وبراعة الطرح. لقد كانت حلقات مكاشفات مع الشيخ حسن الصفار على قدر كبير من الأهمية، وذلك يعود إلى كونه - أي الشيخ حسن - شخصية بارزة لا يمكن إغفالها أو تجاوزها حين يأتي ذكر الشيعة والمجتمع الشيعي في المملكة، إضافة إلى ما يتوافر فيه من فكر عميق وثقافة عالية، كما أن التوقيت الذي جاءت فيه المكاشفات كان توقيتاً مهماً وحساساً، فعلى الصعيد الداخلي هناك حراك على مستويات وأصعدة عديدة، رسمية وغير رسمية، لترسيخ الوحدة الوطنية وإذابة السجالات والاتهامات والاحتقانات المزمنة التي تكرس العزلة والفرقة، وعلى الصعيد الخارجي قد تأكد لنا بجلاء التربص اللئيم الذي تمارسه قوى إدارة اللعبة العالمية الجديدة حين بدأت تعزف على أوتار الطائفية والمذهبية والأقلية وما شابهها من مصطلحات، إضافة إلى الأوتار التي سبق أن عزفت عليها ببراعة بعد أن هيأناها لهم حين لم نقدر جيداً خطورة بعض الأمور.

لقد سنحت لي فرصة التعرف على الشيخ الصفار خلال اللقاء الفكري الثاني للحوار الوطني بمكة المكرمة العام الماضي، وتلك المعرفة - سواء بما كان يطرحه في

(*) كاتب سعودي في صحيفة الوطن.

جلسات الحوار أو خارجها - هي التي جعلتني أقول ما سبق عن فكره وثقافته، وكذلك حسه الوطني، وهي العناصر التي دفعتني للكتابة عن مكاشفاته، أما التفاصيل الدقيقة - المتعلقة بالشأن المذهبي، والاختلافات المثارة مع السنة وغيرها من الأمور في هذا الجانب فإنها ليست من شأني؛ لأنني لست متخصصاً فيها ولا متعمقاً في فهمها، ويحسن بمن هو مثلي أن يدعها لأهلها.

لقد أثيرت أمور في غاية الأهمية خلال حلقات المكاشفات لا نستطيع طرحها هنا أو الإشارة إليها بإيجاز لكثرتها. وأنا سوف أتجاوز كل ما قرأته لأقف عند مقطع واحد قاله الشيخ الصفار في آخر مكاشفة يوم الجمعة الماضي (١٥ رمضان)، يقول:

«الاندماج الوطني قضية ملحة، يجب أن يبذل كل الداعين أقصى جهودهم من أجل خدمتها وتحقيقها، فهذا الوطن الواسع الكبير الذي تحققت وحدته وقام كيانه على يد المؤسس الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يضم مناطق عديدة، ومجتمعات مختلفة في بعض خصائصها الجانبية، وإن كانت تنتمي لأصول عربية واحدة ولدين واحد، هو الإسلام والحمد لله. لكن الحرص الطبيعي والمشروع لكل مجتمع على خصوصياته يقتضي احترام هذه الخصوصيات واتساع بوتقة الوطن للجميع بالتأكيد على القاسم المشترك والهوية الوطنية الواحدة، وحين تضعف هذه الحالة لصالح خصوصية معينة يزداد تمسك الآخرين بخصوصياتهم، فيصبح الوطن ساحة صراع بين الخصوصيات أو الهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية». كمواطن حريص على وحدة وتماسك وطنه فإن ما سبق قد يكون الأهم بالنسبة لي في كل المكاشفات؛ لأننا بالفعل نبحث عن هوية وطنية واحدة صلبة لا تجيَّر لصالح هويات أخرى مهما كانت، غير قابلة للمقايضة أو المصادرة أو الإلغاء لأي سبب لا علاقة له بالوطن. وما قاله الشيخ حسن الصفار هو ما يجب أن يقال منذ زمن بعيد، وما يجب أن يستوعبه كل عاقل محب لوطنه.

وإذا كنا نريد الخير لوطننا فيجب أن تتوقف القنوات التي تثير الشحناء دون وجود أسباب مفهومة، ويجب أن نقطع أنابيب الوقود التي تغذيها، ويجب ألا نتساهل مع المقامرين بالوطن من أجل قناعاتهم الخاصة.

ألسنا ندعو إلى التسامح والحوار وعدم الإقصاء والتسفيه وتصنيف المواطنة؟ أليس ذلك ما ندعو إليه أم نحن نقول ما لا نفعل؟

*****

أديب عبد القادر أبو المكارم(*):

ولكن ماذا بعد المكاشفات؟

ما نشرته صحيفة المدينة في ملحقها (الرسالة) من مكاشفات مع سماحة الشيخ حسن الصفار، يعد طفرة نوعية في الإعلام السعودي الذي كان طيلة السنوات الماضية يخفي الرأي الآخر ولا يسمح له بالظهور.

كانت الأسئلة التي تناولها المحاور العزيز الأستاذ عبدالعزيز القاسم صريحة ومكثفة وواقعية، وكانت الإجابات على هذه الأسئلة أكثر صراحة وشفافية ووضوحاً من قبل العلامة الشيخ الصفار.

لذا نحن نشكر مساعي هذه الصحيفة ونشد على أيدي القائمين عليها، فالحوار الصريح ونشر آراء الآخر وتبادل وجهات النظر إنما هي خطوة كبيرة لتقبل الآخر والانفتاح عليه.

بدا واضحاً من المحاور والمجيب الهدف الأساس من الحوار وهو التقارب وإزالة الغبار العالق بفكر بعضهم عن الآخر، عشنا حقبة طويلة من القطيعة والانغلاق وقد تجرعنا مرارات هذا الأمر، وآن لنا الآن والمؤامرات تحيط بنا من كل جانب أن نتحد ونتكاتف وننفتح على بعضنا، ويتقبل كل منا الآخر حتى نروى عذوبة الأخوة والمودة؛ لنزداد قوة وترابطاً وبذلك ندحر عدونا الذي يتربص بنا الدوائر، ونحن بهذا نطبق منهج الإسلام وتعاليمه السمحة ومبادئ رسول الله ﷺ وهو الذي آخى بين

(*) كاتب وأديب سعودي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

المهاجرين والأنصار، فلْنتآخَ نحن سنة وشيعة لنكون كما وصف نبي الرحمة ﷺ المسلمين في الحديث المشهور: «**مثل المسلمون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**».

كما أننا بتآخينا نبارك مشروع ولي العهد في إنشائه مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الذي يؤكد على تحاور جميع الفصائل والأطياف في المملكة لكي نتقبل بعضنا بعضاً.

لقد أكد الصفار في هذه المكاشفات وفي كثير من الكتب التي ألفها والمقالات التي نشرها في كثير من الصحف وفي ندواته ولقاءاته الصحفية على أهمية الوحدة الوطنية وأنها أمانة في أعناق الجميع كما يقول، كما أكد كثيراً على التقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية وأن على الجميع أن يتفهم الآخر لكي يستطيع أن يتقبله ويتعايش معه، وليس مطلوباً من أحد ما أن يتنازل عن مبادئه ومعتقداته لإرضاء الآخر والتقرب منه.

ما دمنا إخوة في بيت واحد وهو دين الإسلام القويم فلماذا التناحر والتباعد؟ ليعمل كل منا حسب ما يرتئيه صحيحاً متجنباً طعن الآخرين والتشكيك في نواياهم.

هناك من أهل السنة من استمع لصوت الصفار الذي بح وهو ينادي بالوحدة والتقارب، وقرأ ما كتب واستجاب لندائه ملبياً وشاكراً وداعياً مثله أيضاً أمثال: الدكتور محمد عبده يماني، والدكتور محمد علي البار، والدكتور غازي القصيبي، والدكتور الشيخ عوض القرني، ومحاور (مكاشفات) الأستاذ عبد العزيز القاسم الذي تجشم عناء السفر وجاء ليجري هذا الحوار ليدعم مشروع الشيخ حسن الصفار الوحدوي، ويشد على يديه، ويبين رؤاه وأفكاره للطرف الآخر. وقد حقق هذا الحوار كثيراً من أهدافه، إلا

أنه من المؤسف جداً أن ننحى بمسار الهدف الأسمى للحوار إلى مسار آخر غير الجادة المقصودة لتذهب كل هذه الجهود والمساعي أدراج الرياح.

الردود التي جاءت تعقيباً على بعض المكاشفات جاءت مركزة على أمور عقدية وكأنها تريد أن تصيّر الحوار سجالاً مذهبياً قد لا يجدي نفعاً، وكما قال الشيخ الصفار: «لقد قال السنة كل ما لديهم، وقال الشيعة كل ما لديهم، ولن يضيف أحد منهم شيئاً جديداً إلى ركام السجال المذهبي، فإلى متى الانشغال والاجترار؟».

وإن كان ولا بد فليكن بالأسلوب اللين اللطيف، لا بالتهجم والطعن والتشكيك. مع شفافية الإجابات التي أدلى بها الشيخ الصفار إلا أننا نجد تشكيكاً في النوايا ورفضاً لتقبل الآخر مع أن كثيراً من الأمور العقدية التي طرحت في المكاشفات لم تكن جديدة، وقد أشبعها الشيعة إيضاحاً، بل وألفت حولها كتب كثيرة، ولكن لعدم صفاء النوايا من بعض الناس لايزال يردد هذه الأسئلة ويطرحها مراراً وتكراراً حتى وصل الأمر إلى الإثبات بالقسم والأيمان المغلظة.

لماذا يشكك السنة في مصداقية ما يقوله الشيعة متذرعين بمفهوم التقية عند الشيعة، ويقولون: إن الشيعة يظهرون خلاف ما يبطنون، فتسعة أعشار دينهم تقية، ونحن لا نستطيع التعامل معهم؟!

وفي المقابل لماذا يأخذ الشيعة السنة بالصدق ويحملونهم على حسن النوايا؟ في حين أن الأولى أن يشكك الشيعة في السنة وليس العكس، فمن به عيب يحسبه موجوداً في الجميع، ومشهور عندنا في المثل الشعبي «كلن يرى الناس بعين طبعه».

نحن كلنا إخوة في دين الإسلام، والواجب علينا أن نصفي نوايانا، وأن نحمل بعضنا على محمل الخير، في الحديث عن رسول الله ﷺ «احمل أخاك المؤمن على سبعين محمل من الخير»، وفي نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«لا تظنن بكلمة خرجت من أحدٍ سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً». جربنا القطيعة ولعقنا مرارتها، فلماذا لا نجرب التقارب لنذوق حلاوته؟

ديننا الحنيف يلزمنا بالتقارب والتآخي والتآلف، والأوضاع التي نمر بها وتحيط بنا تجبرنا على ذلك، لذا نحن نطمع أن تكون نتائج الحوار الوطني مترجمة على أرض الواقع، وأن تعطى الحريات وأن يتم الاعتراف بالمذاهب الأخرى رسمياً، كما نطمع أن يأخذ العقلاء من كل المذاهب والأطياف دورهم في ترسيخ مفهوم الوحدة والتقارب في أذهان الناس وأن يمارسوا ذلك عملياً حتى يكونوا قدوة وأنموذجاً يحتذى به.

ونطمع أن يكون الإعلام بوسائله شتى منفتحاً للجميع، تجمله حرية التعبير عن الرأي بما لا يسيء لأي طرف.

ختاماً نشكر صحيفة المدينة على هذا الحوار الطيب التي أجرته مع سماحة الشيخ حسن الصفار، متمنين منها المزيد، وأن يقتفي إثرها الصحف الأخرى. والله ولي التوفيق...

*****

جميل اللويحق(*):

زوابع في ملحق الرسالة

خرج عدد الجمعة قبل الماضية من ملحق الرسالة بهذه الصحيفة مملوءاً بموضوعات ساخنة متعددة تجبر القارئ المتابع على قراءة كامل الملحق اضطراراً، لجدة الموضوعات، وسخونتها، ولمساحة الجديد، وحدود الجرأة في الطرح، ولما فيه من تجاوز للتقليدية الطاغية على الصفحات الثقافية والإسلامية في صحافتنا المحلية.

شيخ الملحق عبدالعزيز قاسم مغامر من الطراز الأول، ويحمل في تلافيف رأسه رؤية متجاوزة في باب الصحافة الإسلامية المطلوبة، ولذلك فهو على استعداد للدخول إلى المناطق الحمراء، أو الاقتراب منها على الدوام ما دام احمرارها ليس بتلك السماكة، وما دامت حرارتها ليست بذلك الإحراق.. سيما وأن المسألة يمكن تجاوزها غالباً بشيء من الألاعيب الصحفية وبشيء من الانتقال من الموقع إلى ضده، وعلى كل حال فأعتقد أنه أخذنا معه في سياقه، ووضعنا أمام واقع ماثل يقتضي التفاعل معه، فلا خيار لنا الآن في طريقة التعامل مع هذا الملحق؛ لأن رؤى أستاذنا الكريم قد تحولت إلى واقع ممارس، وكأنه يرمقنا بطرف عينه قائلاً: لا خيار لكم، لقد تجاوزنا تحفظاتكم وتنظيراتكم، فإن أردتم فاركبوا وإلا فنحن ماضون، هذه ربما فكرته بعمومها، ولكن لا بأس، فالأمر موضع اجتهاد، وهو ارتضى أن يتحمل التبعة فله ذلك.

(*) كاتب وأكاديمي بقسم الشريعة - جامعة الطائف.

أثار عدد الجمعة المذكور بعض القضايا الساخنة، وأبرزها تلك الطروحات التي تناولت بالنقد والتحليل مجريات ملتقى المثقفين الأول الذي انفض منذ أيام، وركزت بطريقة وعبارة واضحة على الإعداد له وسير لقاءاته وفئات المشاركين، وكانت أبرز المقالات في ذلك هي ما خطه يراع الدكتور سعيد الغامدي، والدكتور حمزة الفعر والأستاذ بكر بصفر، وقد أكدت هذه الطروحات ما كنت تناولته بتوجس في الأسبوع الماضي وقرأته في ثنايا الأخبار القليلة المتناثرة عن الملتقى قبل انعقاده، وحسبي هنا أن أسمع أو أرى تعليقاً شفافاً من القائمين على الملتقى بخصوص هذه الملحوظات المطروحة، وأعتقد أن الرسالة التي سيحملها الصمت ستكون بطبيعة الحال هي الاعتراف الضمني بصدقية ما قيل أو بأكثره، والقضية قضية وطنية ليست خاصة بأحد دون أحد، ولذلك فآمل ان أرى شيئاً في هذا الخصوص يدل على روح الوضوح والشفافية والقبول بكل الآراء التي طالما كررها القائمون على الملتقى، لا أريد ان أقول الآن أكثر من ذلك، وليس من داعٍ بعد أن انفض السامر لأن نتحدث في الماضي، ولكن الحديث اليوم هو فقط من قبيل إعداد المسرح للقاءات القادمة.

وكان مما أثاره الملحق أيضاً جملة قضايا مع ضيف المكاشفات حسن الصفار، وهذه المكاشفات فيما يبدو مازالت في بدايتها، وأظن أنها ستثير عاصفة كبيرة من ردود الفعل في كل اتجاه.

ولست بصدد التعليق عليها، وهي لم تنته بعد، ولكنني آمل أن لا تؤدي هذه اللقاءات إلى عكس ما يريده معدها.

ربما كنت اليوم قد قمت بدعاية مجانية لملحق الرسالة، ولكنه على الرغم من كل ما يثيره فقد استحوذ على إعجابي بمهنيته وشفافيته.. وللحديث بقية.

*****

حمد باقر النمر(*):

قراءة خاصة لمكاشفات الشيخ حسن الصفار

آن الأوان في دعوة علنية وصريحة لمؤتمر حوار بين المذاهب على غرار مؤتمر الحوار الوطني .

أثارت المكاشفات تفاعلات وتموجات سلبية وإيجابية في الوسط الشيعي في الخليج وإيران والعراق ولبنان.

كنت أحد الشهود على السماع المباشر للحوار. في أثناء تسجيل جزء كبير من المكاشفات التي أعدها الصحفي الأستاذ عبد العزيز قاسم في ملحق الرسالة بجريدة المدينة مع الشيخ حسن الصفار ونشرت مع بعض التعليقات خلال شهري شوال ورمضان من العام الحالي ١٤٢٥هـ.

استطاع الأستاذ قاسم أن يرقى بعمله المهني كصحفي جادّ يبحث عن الفرص الصحفية بأمانة وعمّا يشبع رغبات واهتمام القراء، سيما بتلك المانشيتات ذات (البنط الغامق) وبمقدماته المثيرة كأسئلته الشفافة والإجابات التي حصل عليها في سائر المكاشفات والردود.

كما استطاع أن يكون مبلغاً ووسيطًا لإبلاغ رسالة في ظني حسنة نزيهة عبر ملحق الرسالة التي يحرص على قراءته كل جمعة العديد من المهتمين.

(*) أديب سعودي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

صحيح أن بعض الأسئلة كانت ذات طابع استفزازي كما يقرأها القارئ لكن أجزم أن الأستاذ قاسم كان وفي أثناء طرح الأسئلة على الشيخ حسن تبدو وكأنها عفوية طبيعية. قسمات وجهه ونظراته وطريقة طرحه للسؤال وبشاشته وحركات رأسه كلها تنم عن صدق في النية وجدية في منطقية السؤال ونزاهته. وهذا ما ساعد كثيراً المجيب على الاسترسال والإسهاب في الإجابات بكل شفافية وصراحة وبالأسماء والأرقام كما قرأ ولاحظ القراء.

غادر القاسم مكتب الشيخ الصفار لأنطلق معه في جولة انتهت بفندق شيراتون الدمام حيث كان يسكن. في أثناء الطريق رن هاتفه الجوال ليرحب بحرارة بالمتصل به فتحدث قاسم عن انطباعه عن لقاءاته في زيارة القطيف وأهلها بكثير من الإيجابية والارتياح، وأسهب في تفاصيل لقاءاته، وسرعان ما أدركت إلمام الأخ عبد العزيز بالشأن الديني المحلي الشيعي منه والسني، سيما في الأمور العقدية وحتى السياسية. وقد أكبرت علاقته الحميمة مع من اتصل به و(هو رجل من رجالات الوطن)، للسلفيين عليه مآخذ كما على غيره.

سعة مدارك.. ثقافة واسعة.. عقلية منفتحة مصنفة على التيار السلفي. حسن المحيا بالمقارنة مع من التقيهم بين الفينة والأخرى، فكان كما لو أن ضالة قد وجدت.

فنحن هنا في القطيف لا بل نحن الشيعة في المملكة العربية السعودية لا نريد ابتداء أكثر من أن يُستمع لوجهة نظرنا المغيبة قهراً ثم نستمع له لينصف كل منا الآخر على هدى وبينة وعلم بالحاضر والشاهد ولا عبر زيد من الناس وسفر من الورق.

وفي الطريق أذكر فيما أذكر أنني تحدثت في نقطتين:

١ - سؤال: هل تستطيع أن تنشر كل ما قاله الشيخ حسن الصفار في صفحة الرسالة بجريدة المدينة وتقاوم الضغوط المحتملة بل المؤكدة أياً كانت؟؟ قال واثقاً: نعم، وأسهب في نعمه تلك. وقد فعل.

ومن تلك دخلت إلى النقطة الثانية.

٢ - لست وحدك ستواجه الضغوط، فضيفك في المكاشفات هو الآخر ليس بأحسن حالاً فعليه ضغوط من محيطه حول مختلف ما طرح.

وإن تلك الضغوط على السائل والمجيب هي ثمن الوسطية التي هما فيها ونهج الاعتدال المتبع لديهما وأمثالهما، وهو أسلوب التسامح والاعتدال الذي أمرت به رسالات السماء هو جادة الصواب.

لقد خاض الشيخ الصفار ومن معه من زملاء وأعوان آخرين من طلائع الشيعة طريقًا اتسم بالمواجهة الصارخة وفي الأثناء تلمسوا الطريق ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ حتى انتهوا إلى ما انتهوا إليه في نهجهم الحالي وبإدراك منهم.

وليس عيباً أن يستبدل المرء نهجه في أثناء مسيرته وجهاده واجتهاده بل العيب الاستمرار في طريق لا يكون هو الصحيح دائماً أو عدم اتخاذ طريق الصواب والبحث عنه والسعي إليه.

هؤلاء الرجال من ساسة وعلماء ومثقفين أدركوا الطريق مبكرًا ويلتقون في مشروع، يمكن تلخيصه في: النهوض الثقافي والفكري والديني والاجتماعي بالمجتمع الشيعي في السعودية؛ ليتواصل مع الآخر وبعلاقة إيجابية متكافئة وتساوٍ في الحقوق والواجبات على قاعدة الاحترام والاعتراف المتبادل لانطلاق وتقدم ووحدة الوطن والأمة معاً.

محافظين على روح الثقافة الإسلامية والتراث الديني بعيداً عن التعصب لأي موروثات خاطئة للسلف والأسلاف.

هذا المشروع يلاقي تجاوباً وترحيباً من قبل الواعين من أبناء الوطن كما أنه يتطلب جهداً كبيراً، فالمعوقات الداخلية والخارجية شائكة وكثيرة، وهم الآن في

أفضل مراحل عطائهم لنضج تجربتهم وهمتهم العالية وهم قادرون على نيل مبتغاهم النبيل يوماً ما.

هم الآن يدفعون بأبناء المجتمع قدماً باتجاه التجديد والإصلاح، ولعلهم يمثلون فرصة لا أعدو الصواب لو قلت إنها تاريخية للمجتمع الشيعي السعودي وللوطن عامة، يبقى أن يُحسَن الاستفادة من هذه الطاقات ومثيلاتها وهذا الفكر النير المنفتح على الآخر سنياً كان أو سلطة أو حتى مخالفاً.

أختلف (وسأبين لاحقاً) مع الأستاذ الشيخ حسن في بعض ما طرحه.

الأستاذ عبد العزيز القاسم:-

صحيفتكم وزعت بكثافة أيام الجمعة التي بها المكاشفات ونسخت بالعشرات على أجهزة الطبع، وقرأها كثيرون ليس بالضرورة جميعهم مريدون للشيخ الصفار ولكن الشيخ وبكل تأكيد جاء بجديد وبسابقة على صفحات صحيفة سعودية لأول مرة. فقد حظي الموضوع الشيعي المحلي منه خاصة بشفافية وأريحية غير معهودة بعناوين جذابة لفئة. ومثيرة لأخرى كما أن هناك من أخذ بمآخذ على الشيخ فيما قال في الشأن الديني أو السياسي. وهذا شأن من تُسلط عليه الأضواء ويأتي بجديد.

هذه المرة الأولى التي يطرح فيها النقاش بشفافية وأريحية، وسألت أنت وأجاب الشيخ عمّا هو ممنوع سياسياً، عقدياً، اجتماعياً..... إلخ.

كانت الحلقات الأولى والثانية والثالثة هامة وأسست لتفاعلات وتموجات سلبية وإيجابية في الوسط الديني الشيعي إلى خارج حدود المملكة ومنطقة الخليج وتحديداً في إيران والعراق ولبنان، فأثارت ما يعرف بالمحافظين من الشيعة خاصة موضوع عدم سب الصحابة تحت ذريعة الحفاظ على المبادئ وعدم المساس بالعقيدة والدين، إلا أنها تركت ارتياحاً في وسط المعتدلين والواعين والمتنورين في قم والنجف خاصة.

أما حلقتاك الرابعة والخامسة ذاتا الطابع السياسي والحركي فالأكثر إثارة وسخونة لدى من خاضوا التجربة عن قرب أو عن بعد في العقود الثلاثة الماضية. وفيهم من عاتب وتحامل، وفيهم من قبل ورحب، وعدّ ذلك توثيقاً وإن كان ناقصاً.

عن أحداث ١٤٠٠هـ في القطيف وعن حقبة إقامة الشيخ خارج الوطن وعن تفاصيل عودته ورفاقه. أجابك الشيخ بإجابات مقتضبة جداً لهذه المواضيع، ولي وآخرين على سماحته مأخذ لاختزاله تلك الحقبة واختصار الإجابات. وإن كنت ألتمس له العذر وظني أنه لا يمكن أن يجيب أكثر مما أجاب والله أعلم.

وقد بيّنت المكاشفات والردود المؤيدة أو المخالفة أن هناك فجوة وتبايناً بين السنة والشيعة يمكن أن تعالج بإيجابية إن شاء المتباينون. أو تشنج و سلبية إن شاؤوا أيضاً.

ينبغي أولاً تشخيص نقاط التباين ووضع أسس لحلها عبر حوار مذهبي واضح وصريح من قبل المعنيين للوصول إلى تقارب وتوادّ على قواعد سليمة وليس لأجل تسنن شيعة أو تشيع سنة.

وهذا يتم عبر إنشاء مركز حوار وطني بمبادرة ودعم من الدولة ورجال الخير، وذلك لتفعيل الحوار بين السنة والشيعة في هذا الوطن لعقد الندوات ونشر الكتابات المشتركة وتطوير المشاريع الداعمة.

تلك مقدمة وخواطر تعقيبيه لأصل حلقات المكاشفات ولي هنا تعليقات أرجو التمكن من اختصارها:

نداء

١ - أستاذ عبد العزيز قاسم/ وكل الإخوة المهتمين بالشأن الإسلامي والدعوة والمتابعين للشأن الشيعي خاصة.. رجاؤنا منكم وبعنوان المصلحة العليا للإسلام

والعقيدة والوطن والمواطنين أن تكونوا أكثر حرصاً (وأنتم حريصون) وأكثر إدراكاً (وأنتم مدركون) وأكثر وأكثر وأكثر.. أن تتجاوزوا بعض العقد والإثارات التي أكل الدهر عليها وشرب ولا تستحق السؤال كموضوع:

- تحريف القرآن. وأين التحريف الذين يدعون ومَن مِن علماء الشيعة أو زعمائهم المعاصرين اليوم يقول به، بل على العكس تماماً.

- مصحف فاطمة. وأين هو واللهم لا كتاب إلا ما بين الدفتين، ومن لديه غير ذلك فليأتِ به.

- سبّ الصحابة. وبعيداً عما هو مكتوب في كتب التراث الشيعي من إساءات لبعض الصحابة فلا أحد اليوم من مراجع الشيعة وزعمائهم يعلن السب والشتم وهو مرفوض.. أما إذا مارسه أحد من الناس فلا يعدو عن الجهل والمنفعة الشخصية، ولكن لنا أن ندرك أن من بدأ سبّ الصحابة في التاريخ هم بنو أمية بشتمهم من على المنابر للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والصحيح ألاّ يزر أحد وزر غيره.

أما التقية وما أدراك ما التقية؟ فإن تحذر الشيعي في أمر بسبب الظلم الواقع أو ارتأى المحافظة على وحدة التجمع فالتزم الجماعة قيل إنها تقية وينبذ بها وإذا ما جاهر الشيعي حتى بصلاته تارة، دون أن يمارس التقية المزعومة قيل إنه رافضي ومنشق عن صف المسلمين، فإنها الحيرة والله، ونشاهد اليوم من علماء وعموم السنة ممارستهم على أرض الواقع للتقية أشد من ممارسة الشيعة لها!!.

- وكتاب الكافي والإمامة والخلافة والمهدي المنتظر وزيارة القبور والسجود على التربة وهذه على سبيل المثال لا الحصر... ولسنا هنا في مورد السجال.

تجاوزوها يرعاكم الله فلدى الشيعة على السنة من المآخذ مثلها وأكثر، ولو قلتم لقلنا إلى أن يأتي الفجر ثم تعودوا ونعود.

وحاضرة أمامنا وحدة أوروبا شاهدة علينا بعد أن نبذت خلافاتها وأنهت حقبة الحروب الدامية الطاحنة بينها، فنهضت وهي على غير دين وعلى غير لغة وعلى غير قومية وعرق..

ها هي اليوم قلب واحد، ونظام واحد، وعملة واحدة، وحدود خارجية واحدة، لا نزال نشهد كل يوم مزيداً من الوحدة والاندماج وتجاوز المشكلات.

وعلى مقربة منا لبنان وطوائفه الذين اختلفوا واقتتلوا لأكثر من ١٧ سنة فقدمت كل طائفة أسمى ما عندها من غالٍ ونفيس من مال وجاه ورجال ظناً منها أنها الحق وأنها سوف تنتصر ثم ماذا؟؟ توصلوا إلى ما لم نتوصل إليه نحن لغاية اللحظة، فكان عليهم التعايش وقبول الآخر ومسالمة بعضهم بعضاً وإقرار كل منهم للآخر بما هو وما فيه وما عليه.

ويخشى من تكرار ذلك فلا تكتشف الحقيقة إلا بعد فوات الأوان فاعتبروا يا أولي الألباب.

إن الخطر المحدق بالأمة والظروف الصعبة التي تعيشها أكبر من مزاعم خطر التقية والتحريف المزعوم للقرآن ومصحف فاطمة الموهوم وإشكالات على كتاب الكافي وغيره.

وإن التحدي اليوم أكبر من اهتمامات ضيقة الأفق بعنوان التوحيد تارة والحرص على العقيدة تارة أخرى، وكأن التوحيد والحرص على العقيدة وقف لتلك الفئة من الأمة هي الولية والوصية والحامية لحمى الدين دون غيرها.

في لقاء عدد من أعيان القطيف بمعالي وزير العدل الشيخ الدكتور عبد الله آل الشيخ قبل أشهر لمتابعة أمور تخص المحكمة الجعفرية بالقطيف قال بالحرف الواحد: «يا إخوان إن الخطر القادم على أبناء المسلمين سنة وشيعة أكبر مما نتصوره» وتحدث بلغة قريبة من لغة الأرقام على ذلك الخطر، ليس هنا مكان ذكرها، ثم دعا الوزير إلى الاهتمام بالشأن الإسلامي العام والتعاون لحفظ أبناء المسلمين وضرورة تمسكهم بالإسلام. وخيراً دعا رعاه الله.

لمن الولاء والانتماء

٢ - بالنسبة للسؤال الذي عنونته (بالأهم: الولاء والانتماء) في هذا كلام كثير، ولدى الشيعة عشرات الشواهد التاريخية والراهنة على ولائهم وحبهم لوطنهم ليس هنا محل لذكرها. ولا أدل على ذلك من صمودهم وإقامة أفراحهم في مناطق تواجدهم بالمنطقة الشرقية تحت مفرقعات حرب الخليج الثانية. ولا يقبل من أي كان أن يضع الشيعة في مثل هذه الاتهامات، وقد شهد لهم ولاة الأمر قبل أي أحد بولائهم لوطنهم الغالي.

وشبيه بذلك الرأي حول علاقة الشيعة مع الأمريكان.

وإذا كان من إشارة صريحة أقول: في الوقت الذي كان الشيعة في لبنان وإيران في العقود المنصرمة يسلون سيوفهم على الأمريكان كأعداء للأمة كانت سيوف الآخرين في أغمادها إلى أن أصبح ابن لادن وأتباعه بقدرة قادر العدو الأول لأمريكا بعد أن كان في الأحضان!! مقاوماً للمد الشيوعي المناهض لأمريكا!

ولا يزال الشيعة في لبنان وسيبقون هم الشوكة في عنق الأمريكان.

وأجزم أن الشيعة في المملكة لا ولن يقبلوا بالأمريكان، ولا أدل على ذلك من بيان الشيخ الصفار الذي أشرت أنت إليه في مقدمة المكاشفة الأولى.

وإذا كان أحد من الشيعة لديه علاقة مع الأمريكان غير مرضي عنها فإن هناك أيضاً من السنة من لديه مثل تلك العلاقة، فلا ينبغي التعميم على من ينتمي له هذا الشيعي أو ذلك السني. فذلك إسقاط وإقحام.

ولست مدافعاً عن علاقة الشيعة في العراق مع الأمريكان إلا أن ظلم صدام وزمرته هو الذي أوصل الشيعة هناك للعلاقة مع الأمريكان للخلاص من كابوس القهر والضيم. وبالمناسبة ليسوا هم وحدهم من لديه علاقة مع أمريكا فكل الأطراف بشكل أو بآخر تتعاطى مع الشأن الأمريكي في العراق.

ومن الأجدر أن تكون هناك قراءة موضوعية لمشكلات الأقليات في البلاد الإسلامية وإيجاد الحلول المناسبة لتفويت الفرصة على الأعداء وتهشيم تلك المخاوف والتوجسات بالحلول الجذرية للمشكلات لا بالهروب إلى الأمام عنها ولا بإلقاء التهم جزافاً.

وكل ما يمكن قوله لكل النفعيين في هذين الموضعين (الولاء للوطن) و(العلاقة مع الأمريكان) هو الكف عن المزايدات والتهريج من هنا وهناك وذا وذاك.

وقد أعنت الشيخ

٣ - أراك قد أعنت الشيخ على التهرب من بعض الإجابات على أسئلتك المهمة، لعل أهمها في نظري المكاشفة الرابعة حينما سألته عن بعض شيوخ الصحوة فأجابك على سؤال سابق ثم غفلتم عنه، وليته أجابك لكي يكفيني عبء هذا التعليق.

فصاحب مذكرة واقع الرافضة (وهو مصطلح تنابزي يطلق على الشيعة) في بلاد التوحيد المطبوعة والموزعة قبل ١٥ سنة - وهي مذكرة تحريضية - لم يدخر استغاثة إلا استغاث بها مستنهضاً، ولم يدخر حكماً قاسياً إلا أصدره حتى في أرزاق الناس مطالباً بطرد المواطنين الشيعة من وظائفهم بعد أن أجهد نفسه في إحصائهم فرداً فرداً وعدّهم عدًا في مؤسسات الدولة وفي الشركات الأهلية!!

وشيخ آخر ورأيه المعلن في استكثاره على شيعة المملكة أنهم يولدون ويموتون وهم شيعة وأن هذا يكفيهم إن لم يكن كثيراً عليهم في ظنه ولا حق لهم في هذه الدنيا وهذا الوطن.

وبقي عليك أن تسأل الشيخ الصفار عن الشيخ (المعاصر) صاحب الفتوى بل الفتاوى الشهيرة بإباحة دم الشيعة وجواز قتلهم زيادة على النهي عن مصافحتهم وعن السلام عليهم أو رده؛ لأنهم في عداد غير المسلمين، وإذا أراد أحدهم التهرب من تكفيره للشيعة فيواري (ويتقي) ويقول إنهم يقومون بأعمال كفرية مؤداها للكفر!!.

كل تلك أمام مرأى ومسمع الجميع ولم يحرك أحدٌ ساكناً مخالفين ولاة الأمر وما هو معلن وصريح وصحيح من أن المملكة العربية السعودية بدءًا من عهد المؤسس عبد العزيز - رحمه الله - وإلى اليوم هي الدولة الوحيدة في العالم التي جميع مواطنيها مسلمون، ولا ديانة أخرى في هذا الوطن إلا الإسلام.

تلك الممارسات لا تنتج ولا تورث إلا الخصومة والتباغض والضغينة والنزاع بين المواطنين وهي تبديد للعدل والمساواة وانعدام الأمن والسلم في المجتمع.

أدعوهم هدانا الله وإياهم وسائر المسلمين إلى أن يعيدوا النظر ويتساءلون فيما هم فيه سيما في إصدار الفتاوى والأحكام التعسفية كما أعادوا النظر في مسالك وآراء أخرى سلكوها ورأوها.

مقارنة

٤ - أستاذ عبد العزيز ومن خلال المكاشفات والردود عليها لاحظ وقارن المفردات التي يطلقها الشيخ ولاحظ المفردات التي يطلقها المريدون والمعارضون في ردودهم لنستخلص أن:

منهم من يدعو لوحدة الأمة مقابل دعاة التفرقة باسم التوحيد، يدعو ويعمل للانتماء الوطني كجزء من الإيمان مقابل تشتيت الجهود وإضاعتها هنا وهناك، ويدعو إلى المحبة والتسامح الوطني مقابل حملة السلاح ضد الوطن، يدعو لإزالة التوتر الطائفي مقابل حرائق الفتن باسم العقيدة، يدعو إلى علاقة أفضل حتى مع السلفيين مقابل تلك التحفظات التي لا مسوغ لها. يدعو لتجريم ثقافة التحريض والكراهية مقابل من يسعى لبثها وممارستها حتى وصل الحال لناشئ لم يبلغ بعد أن يصدر حكماً بأمر أستاذه في أحد ثانويات المنطقة الشرقية مفادها إباحة دم الشيعة، ومقابل الدعوة للتعددية وللحوار وإلى كلمة سواء هناك الدعوة إلى فرض الرأي الأحادي. وهناك من ينادي الآخر المخالف له بالسيد والشيخ مقابل من ينادي المخالف له حافاً مجرداً مستكثراً عليه لقباً يكرمه به قومه وإن كان سيداً فيهم ومحترماً، وهذا يخالف رسالة الإسلام في احترام كل عزيز في قومه، والأمة التي لا تحترم بعضها ولا الآخرين ينبغي ألا تتوقع إلا المهانة من باقي الأمم..

هناك من يدعو لأموات غيره من المسلمين بالرحمة مقابل من لا يجيز الترحم على غير فئة من المسلمين. وهناك من يمد يد المصافحة والتعاون مقابل من يستكثر رد السلام علاوة على السلام على اعتبار أن هؤلاء غير مسلمين.

يجري هذا في بلادنا بلاد التوحيد، نعم، ويا للآسف، نعم.

من الردود الإيجابية

٥ - لا بد من الإشارة إلى أن الردود السلبية التي وردت ونشرت قابلتها ردود إيجابية وعاقلة ومعتدلة من أقلام ذات غيرة وطنية وحرصاً على مصلحة الإسلام لا يمكن إلا أن تحترم، وهي موضع تقدير في وسطنا الشيعي لا بل الوطني.

خاصة أول تلك المبادرات مقالة د.عزيزة المانع في صحيفة عكاظ في عددها ١٣٩٣٩ في ١١/ رمضان/١٤٢٥هـ التي أكدت على ضرورة الإصغاء بعناية وتحكيم العقل لاستيعاب أبعاده العميقة والابتعاد عن بناء الأحقاد وبث روح الفتنة بين أبناء المجتمع الواحد.

أخي قاسم:

أول الطليعة

٦ - الشيخ حسن الصفار إنما هو ليس طليعة وحده في ميدان العمل، ودعواه بالأمس واليوم ليست فردية على الرغم من أن صياغة الأسئلة والإجابات كانت توحي بفردية الشيخ إلا أن التجربة سيما فيما يتعلق بالمرحلة من العام ١٤٠٠هـ وما قبلها قليلاً إلى ما بعد العودة في عامي (١٤١٣هـ - ١٤١٤هـ) إنما هي جهد وتعاون ونشاط واضح ومعلن ومكشوف للعيان قدر لي أن أكون جزءاً منه يعتز القائمون عليه ولا يتنكرون له ويعدّ الشيخ فيه رائداً.

وأختلف مع الشيخ الصفار في إجابته عن سؤالك: الصفار والثورة.

فما حدث هو نقمة على أوضاع صعبة مذهبية واقتصادية متراكمة منذ عشرات السنين، وهناك سعي حثيث الآن لمعالجتها.

ممارسة الطائفية من قبل ضعاف النفوس متراكمة قبل الثورة الإيرانية، وما كتاب الجبهان (تبديد الظلام وتنبيه النيام) إلا شاهداً. وهناك شواهد أخرى.

كان هناك فقر وتخلف في بلادنا العزيزة قبل ثورة إيران، إنما الثورة كانت عاملاً مساعداً لخروج شبيبة معبرين عن غضبهم وسخطهم على ما يجري، وثم تشنج الوضع لعقد ونيف من الزمان وفيه تفاصيل كثيرة ليس هنا مكان لذكرها إلى

أن أتت مبادرة كريمة من لدن خادم الحرمين الشريفين شخصياً ليضع حداً لتلك التشنجات وحسم الأمر بكل شجاعة ودعوة من هم في الخارج بعد أن استقبل ممثلين عنهم إلى العودة بأمن وأمان، وهذه تسجل في تاريخه أمد الله عمره. أتمها سمو ولي العهد حفظه الله بأكثر من لقاء خاص تبع ذلك لقاءات مع سمو الأمير نايف والأمير محمد بن فهد وأمراء آخرين ليتم تتويج عودة من هم في الخارج والبدء بسلام في صفحة جديدة نأمل أن تطوي الماضي ليستلهم منه الدروس والعبر.

نحن الآن في مرحلة حساسة وفي غاية الخطورة، والأمة في وضع لا تحسد عليه، والجميع معني ومسؤول للحفاظ على أي مكتسب من مكتسبات الأمة والوطن.

والأمة التي تعجز عن التحاور والتشاور الجاد والهادف بينها لن تستطيع النهوض والتقدم والتحضر وإن ادعت، ولا يرجى منها ولها إلا الخزي - معاذ الله.

الحوار اليوم بين الأمم والحضارات سمة من سمات العصر لتقليص الاختلافات والوصول إلى الأهداف الإنسانية النبيلة. وحري بإخوتنا السلفيين خاصة أن يعدلوا عن شروطهم التعجيزية للتحاور، وأن يتجاوزوا الخلافات الجانبية والهامشية، ويفوتوا الفرصة على الأعداء الذين ينخرون بالأمة ويكيدون بالمسلمين، فلا يمكن وألف لا يمكن للأمة أن تكون على منهج أهل السنة والجماعة!.

وأخيراً وليس آخراً أدعو - ومن خلال هذه الأسطر - حكومتنا الرشيدة وشخص صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد - حفظه الله - إلى دعوة علنية وصريحة لمؤتمر حوار بين المذاهب على غرار مؤتمر الحوار الوطني وغيره بمشاركة كل المذاهب القائمة بالمملكة، وتجاوز فردية المذهب الواحد أو المذاهب الأربعة، ففي المملكة مذهب خامس هو الجعفري، ومذهب سادس هو الإسماعيلي ليسا بدعاً ولا نكرات، لهم ثقلهم السكاني والجغرافي وتاريخهم العريق. ولهم إسهاماتهم بمقدار ما أتيحت لهم الفرص في بناء ووحدة هذا الوطن.

إن الدول الأخرى التي عقدت مؤتمرات بهذا العنوان ليست أولى من المملكة في دعوتها تلك كما أنها ليست الأكثر حاجة.

وإن التعددية المذهبية والعرقية لهي عامل قوة للوطن والأمة، وهي مصدر فخر واعتزاز إذا ما أحسنت الاستفادة منه، أما والحال الذي ندركه الآن فهي من عوامل التشرذم لطالما هناك سوء توظيف لهذه الحالة. نتضرع إلى الله أن يجمع ويوحد كلمة المسلمين تحت راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

*****

الدكتور محمد علي الهرفي(*):

مع حسن الصفار في مكاشفاته(**)

أحسب أن عبدالعزيز قاسم من الكفاءات الصحفية المتميزة، هذه الكفاءة جعلت (الرسالة) التي تولى عبء الإشراف عليها ذات طابع متميز، وأحسب أن (المدينة) لا يمكن لها أن تكون شيئاً دون (الرسالة) التي حملتها.. السيد عبدالعزيز يتحفنا بين الحين والآخر ببعض المكاشفات الجيدة، وآخر ما قرأت من مكاشفاته تلك المكاشفة التي أجراها مع الشيخ حسن الصفّار، وفي هذه المكاشفات نقاط تستحق الوقوف عندها، ولأن هذه النقاط كثيرة فإنني سأختار بعضها بحسب أهميتها من وجهة نظري.. وفق عبدالعزيز في اختيار الشيخ حسن الصفار؛ فهو شخصية اجتماعية معروفة ومتميزة، وله طروحات ينبغي الوقوف عندها وكثير منها يتجه لتقوية الوحدة الوطنية وإزالة ما يمكن إزالته من الفوارق بين الطائفتين السنية والشيعية وله كتابات كثيرة في هذه الموضوعات أحسب أننا بحاجة ماسة لمثلها في هذه الأيام.. من النقاط التي تحدث فيها الشيخ قضية الولاءات والانتماءات وما يثار من حديث حولها، وأن الشيعة في بلادنا يتجه ولاؤهم للخارج بسبب الحالة التي يعانونها.. الشيخ أوضح أن هذه المسألة تدخل في نطاق الإساءة للطائفة الشيعية، وذكر أن بعض الأفراد قد يوالون غير بلادهم من الطائفتين وهنا يجب عدم التعميم والاكتفاء بذكر الأشخاص فقط. لعلي هنا أتفق مع الشيخ وأؤكد أن

(*) أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(**) صحيفة الوطن، العدد ١٥٢٣ السنة الخامسة، الثلاثاء ١٨ شوال ١٤٢٥هـ - ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٤م.

أعداء بلادنا يستغلون كل ثغرة تتاح لهم لاختراق حصوننا والدخول معها للوصول إلى أهدافهم السيئة، وهنا لا يفرق هؤلاء الأعداء بين طائفة وأخرى، فالمهم حصولهم على مآربهم ثم يضربون الجميع، فالذي يخون وطنه لا يستحق الاحترام حتى من الذين خان وطنه من أجلهم. وأمامنا ظاهرة أفغانستان والعراق، فالذين تعاونوا مع الاحتلال الأمريكي في كلا البلدين كانوا من جميع الطوائف، وعندما تمكن العدو من بلادهم ضربهم جميعاً وأبقى على من يتماشى مع رغباته ويحقق له أهدافه. إن كل فرد ينبغي أن يدرك وبوضوح شديد أن التعاون مع العدو لن يحقق له شيئاً غير الاحتلال والدمار، وأن الإصلاح يجب أن يكون بإرادة المواطنين ومنهم وحسب عقائدهم.. ومن هنا فإنني أحيي الشيخ حسن عندما أكد على هذه المسألة بصورة عملية في بيانه الذي أصدره رداً على ادعاء الأمريكان بوجود تفرقة دينية في المملكة، وأحسبهم يعنون بهذا البيان الطائفة الشيعية، وذكر صراحة أنهم لا يعانون أي لون من التفرقة وإذا حصل شيء من هذا فإنهم سيبحثونه مع حكومتهم وليسوا بحاجة إلى الآخرين لتحقيق أهدافهم..

وفي هذا السياق فإنني أستغرب حديث السيد علي الأحمد الذي ألقاه أمام لجنة في الكونجرس الأمريكي وطالب فيه الأمريكان بالتدخل في بلاده لحل مشكلاتها حسب فهمه مركزاً على التفرقة الدينية. وأعجب من طريقة طرحه وهو يرى أكثر من سواه ما فعله الأمريكان في العراق، وكيف يمارسون الإبادة الجماعية في الفلوجة، فهل يتوقع من أمثال هؤلاء أن يحققوا له شيئاً؟ وهل هذا هو الطريق للإصلاح؟ الشيخ حسن قالها صراحة: "أريد أن أقول وأعلنها بصوت واضح لكل المسلمين ولكل أبناء المنطقة بمختلف اتجاهاتهم بأن المراهنة على الأمريكيين مراهنة على سراب". ثم ذكر الشيخ - وفقه الله - أن من واجب الحكومات العربية أن تبادر لكسب شعوبها وأنها لن تصل إلى ذلك دون إصلاحات شاملة تجعلها مع شعوبها في

خندق واحد، وهي إن لم تفعل ذلك فستقدم خدمة جليلة للأمريكان ولكل أعداء الأمة أكثر مما يقدمه أي شخص آخر.. نقطة أخرى تستحق الوقوف عندها وهي مسألة التحريض الذي يمارسه بعض الأشخاص من الفئتين ضد الفئة الأخرى.. الشيخ وقف عند هذه النقطة طويلاً وأحسبه محقاً في هذه الوقفة، فمجتمعنا لا يتحمل هذه الأفعال، وهو في ظرف أحوج ما يكون فيه إلى الالتحام والوفاق. أعرف - كغيري - أن هناك نقاط اختلاف بين السنة والشيعة، وأعرف أن هذا الاختلاف سيبقى إلى قيام الساعة، وأعرف أنه لم يظهر الآن ولهذا كله أحسب أن المصلحة أن يتجاوز الجميع هذه النقاط ويبحثوا عن نقاط الالتقاء وهي كثيرة جداً، وإذا كان هناك أفراد من الطائفتين يرون استحالة تجاوز نقاط الاختلاف فإن هناك أعداداً لا ترى ما يرى أولئك، ولديها من التفاؤل بتحقيق أكبر قدر ممكن من التلاحم الذي يخدم الوطن بأفراده كافة. نقاط الالتقاء تحدث عنها الشيخ كثيراً كما تطرق مع مكاشفه عن نقاط الاختلاف وأبدى رأيه فيها. ومرة أخرى لا أجد من المناسب في مقال كهذا أن أقف عند تلك النقاط وعليّ أن أقول إن المصلحة المشتركة أن نوقف استعداء كل طرف على الآخر، ومن هنا فإنني أستغرب - مثلاً - من هيئة الإغاثة أن تصدر كتاباً تكفر فيه الشيعة، كما أستغرب من صحيفة سعودية أن تنشر مقالاً لأحدهم يرى فيه استحالة الانتصار على الأمريكان ما دام فيهم مبتدعة وخارجون على الدين، ويضرب مثلاً لذلك بالشيعة والبعثيين.. وفي الوقت نفسه يجب أن يوقف معتدلو الشيعة كل الأصوات النشاز التي تكفر السنة أو رموزهم. هذه الأصوات لا تحقق للوطن إلا الإساءة والتفرقة.. لقد أعجبت بما قاله الشيخ في قناة (الأوائل) وهو يشبه المسلمين عموماً بأنهم يعيشون في بيت واحد فيه حجرات بعضها يسكنها شيعة وأخرى يسكنها سنة. وقال: لا أرى مانعاً أن يخرج أحد ساكني هذه الحجرة ليدخل في الحجرة الأخرى.. أي إنه قال بطريقة أكثر وضوحاً: إنه لا

يرى مانعاً أن يتحول الشيعي إلى سني والعكس ما دام الجميع يعيشون تحت لواء الإسلام.. تمنى الشيخ كثيراً أن يكون هناك لقاءات وحوارات بين مختلف المذاهب، وأن يتولى العلماء والمثقفون هذه المسألة ليفهم كل طرف الآخر على حقيقته، ومن ثم يستطيع التعايش معه بصورة صحيحة بعيداً عما يسمعه كل طرف عن الآخر إما من خلال كتب لا يتفق الجميع على صحتها أو من خلال إشاعات لا تهدف إلى مصلحة أحد. وأجد أن هذا الطرح في غاية الموضوعية وينبغي على علمائنا أن يبادروا إلى تفعيله فتكثر لقاءاتهم مع الآخرين، وليتحدثوا بكل صراحة عما يجول في خواطرهم، فهم يعيشون في بلد واحد ولا ينبغي أن يحمل أبناء هذا البلد عداء لبعضهم بعضاً ما دامت هناك فرصٌ حقيقية للتفاهم والتعايش.. هناك نقاط كثيرة جاءت في هذه المكاشفات ولكن ضيق المساحة يمنع من تناولها.. ويكفي أن أقول إن الهدف الأسمى الذي يجب أن يسعى إليه كل فرد هو العمل على تقوية وحدتنا الوطنية تحت مظلة الإسلام، وأن نبتعد عن الفرقة والاختلاف، فهما أول طريق يوقعنا في ذل الضعف والعبودية للأعداء.. الخلاف سيبقى ولكنه يجب أن ينحصر في أضيق الأماكن، والخلاف ليس مشكلة فهو موجود بين كل طوائف الدنيا وأفرادها وموجود بين العائلة الواحدة. المهم أن نجعل منه عامل قوة وليس عامل ضعف، فالتنوع قد يكون طريقاً للقوة والتلاحم والبناء.. هل يمكن أن نفكر بهذه الطريقة؟ دعونا نجرب.

*****

د.سهيل بن حسن قاضي(*):

لصحيفة (المدينة) رسالة(**)

تحرص بعض الصحف المحلية على لفت انتباه القارئ من خلال بعض العناوين المثيرة، ثم سرعان ما يكتشف القارئ أن المضمون مختلف نسبياً أو كلياً. ولعل عنوان هذه المقالة أحد هذه العناوين التي أشرت إليها، حيث إن رسالة صحيفة المدينة عظيمة وجليلة يصعب الحديث عنها عبر هذه السطور، ولكنني أردت أن أزجي الشكر والتقدير لصحيفة المدينة الغراء وملاحقها اليومية والأسبوعية وبالأخص (الرسالة) التي تستحق تقدير كل منصف، فصفحاتها الثماني بدءاً من منبر الرسالة على الصفحة الأولى حتى الصفحة الأخيرة المشتملة على (نص وتعليق) والزوايا الثابتة: قبل الطبع، عيون، بارقة، أفق، وملامح إضافة إلى قضية الأسبوع وندوة الأسبوع. أو المكاشفات التي حملتها الرسالة على مدى أربعة أسابيع.. تدلل بحق على أن الرسالة إسلامية المنهج وعصرية الطرح بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى.

وأريد اليوم أن أتوقف قليلاً مع ضيف جريدة المدينة فضيلة الشيخ حسن الصفار والحوار الساخن الذي أجراه معه الأستاذ الكريم عبدالعزيز قاسم وكان من أبرز ما قاله الشيخ الصفار: «مستعدون لميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية ونؤكد فيه على وحدة الأمة وعلى مرجعية الكتاب

(*) أكاديمي ومدير جامعة أم القرى السابق.

(*) المدينة: صحيفة يومية تصدر عن دار المدينة للطباعة والنشر، العدد ١٥٢٠٣ السنة السبعون، الثلاثاء ١٤٢٥/١٠/٢٥هـ - ٢٠٠٤/١٢/٧م.

والسنة»، وقال: «يجب أن نبدأ بإيقاف الإثارة لكل الترسبات عبر وقف التعبئة والتعبئة المضادة، وتجريم ثقافة التحريض على الكراهية». ومن أبرز ما قاله: «أراهن على الجيل الواعي من العلماء والدعاة في الصحوة الإسلامية والاتجاه السلفي بأن إدراكهم للتحديات الخطيرة يجعلهم أكثر مرونة تجاه الآخرين».

أحسب أن الشيخ الصفار قد وضع النقاط على الحروف، وأزال عن الأذهان كل ما علق في السابق بكل صدق وموضوعية، ولوحظ على الشيخ الصفار تمسكه الثابت فيما أبداه من آراء، وهذا ما أكده رفاقه في الحوار الوطني الذي شارك فيه الشيخ الصفار بكل فعالية، ولقي هذا الأمر ترحيب كل الأوساط، راجياً أن نقطف ثمار هذا التقارب عبر الأطروحات التي عرضها في الحوار الوطني ولقاءات جريدة المدينة ممثلة في ملحقها (الرسالة) والمؤمل أن توضع هذه الأطروحات موضوع التنفيذ.

إن ما ذكر آنفاً يقودنا إلى التساؤل: هل نملك بالفعل الإرادة للتعايش؟

قال أحد الأئمة (صلاح شأن الناس التعايش): لدينا مجتمعات عديدة كان بعضها ومازال مضرباً للمثل في عملية التعايش والانصهار في المجتمع في مقدمة هذه الدول أكبر دولة في العالم وهي الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى المستوى العربي كان لبنان أنموذجاً للتعايش قبل أن ينجح الشيطان في منتصف السبعينيات ليقوض كل ما بني في السابق.

وفي هذا السياق فقد كنت في زيارة لدار الساقي ببيروت في العام الماضي فجاءت سيدة تسأل عن كتاب التنوع والتعايش للشيخ حسن الصفار وهو بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، فطلبت من مسؤول المبيعات أن يزودني أيضاً بهذا الكتاب، فقال الرجل: لقد جاءت هذه السيدة يوم أمس تسأل عن كتاب شخصية المرأة للشيخ الصفار. وزودناها بطلبها وأفدناها أن للمؤلف كتاباً آخر في

التنوع والتعايش فقالت: لست مهتمة بهذا الأمر، فإذا بها تجيء اليوم وهي ترغب في الحصول على مجموعة من النسخ بغرض الإهداء. لقد تسنى لي الاطلاع على كتاب شخصية المرأة وعلى كتاب التنوع والتعايش، وسعدت بالطرح الجيد والفكر المستنير بدءاً من شرحه التنوع كظاهرة كونية اجتماعية بأنواعه من تنوع عرقي ولغوي وديني وقومي إلى الرؤية الإسلامية التي طرحها المؤلف عن التنوع والاختلاف والتي وفق في شرحها أيما توفيق زاده الله حكماً وعلماً، إلى أن انتهى في خاتمة الكتاب بكيفية الانتقال من زمن التعصب إلى زمن التعايش، وهو موضوع يحسن إثارته ومناقشته في المرات القادمة. ولا بد أن نرجع الفضل لأهله ولكل من أسهم في تعريفنا بالشيخ حسن الصفار في مقدمة هؤلاء مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، وصحيفة المدينة الغراء، ثم لقاء في منزل الأستاذ محمد سعيد طيب وآخر في منزل الأستاذ عبدالمقصود خوجة وبعض من كتبه التي تسنى لي الاطلاع عليها. والحديث موصول.

*****

د. محمد رزق الطرهوني(*):

ملف السنة والشيعة لن يغلق(**)

أحب أن نتكلم عن نقاط جوهرية تتعلق بفتح هذا الملف الساخن الذي نعلم علم اليقين من خلال دراستنا الشرعية ومن ضمنها دراسة تفاسير الشيعة ومعتقداتهم من كتبهم وأقوال أئمتهم أنه لن يغلق مع محدودية فائدته فأقول:

أولاً: لقد مضى على الخلاف بين أهل السنة والشيعة أربعة عشر قرناً كان فيها أئمة من أهل السنة أفضل وأعلم وأتقى وأكرم على الله وأكثر إنصافاً وحباً لاجتماع كلمة المسلمين ونبذ الفرقة والشقاق من كل من ينادي بالتقارب والتعايش والتآلف من صغار زماننا وفيها أئمة من طائفة الشيعة وأساطين علم في دينهم هم أعلم وأفهم وأتقن لدينهم من أمثال الصفار ومن قد يوافقه، ولكن لم يحدث شيء من ذلك؛ لأن الجميع كان يعرف الحقيقة ويعلم أنه لا يوجد نقطة اتفاق يمكن أن ينطلق منها الحوار أساساً كما سيظهر مما نسوقه.

ثانياً: الصفار واحد من مئات مثله وهذه القضايا مصيرية تتحدث عن أمتين متباينتين ولا يمكن لفرد أن يتكلم باسم أمته ولم تخوله الأمة حتى وإن كان يمثل مرجعية علمية وكلنا نعلم الصراع الكبير بين السيستاني الذي يمثل مرجعية للصفار وأمثاله والصدر وأنصاره، وهم أبناء طائفة واحدة.

(*) أستاذ علوم القرآن بالمدينة المنورة.

(**) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ٥ ذي القعدة ١٤٢٥هـ - ١٧ ديسمبر ٢٠٠٤م.

والصفار نفسه ربما كان مرفوضاً من بعض أبناء جلدته، وما فتوى أحد كبار مرجعياتهم التي أقر بها في مكاشفاته الحلقة الرابعة وهو الخوئي بخافية على المطلعين.

رابعاً: قد يخالف فرد من الأفراد جماعته ويخرج عن طريقها وهذا لا يعني أنه ما زال منتمياً إليها، والعبرة في معرفة منهج وفكر وعقيدة طائفة كلام علمائها المعتمدين ومؤلفاتهم المشهورة، وكم من رجل ينسب زوراً وبهتاناً لأهل السنة، وأهل السنة منه براء حيث خالف منهجهم وكلام علمائهم وما قضايا الأزهر ومحاكمته لبعض الكتاب من المنتسبين إليه الذين عبثوا في دين الله ببعيدة ولو صح ما ادعاه الصفار في قضايا عدة فهو ربما سيكون مارقاً خارجاً عن دين الشيعة.

خامساً: محاولة التمسح بأن الدافع للصفار وأمثاله الوطنية ومصلحة أبناء الأمة والاستجابة لدعوات ولاة الأمر هي محاولة ربما تكون فاشلة يكذبها الواقع الأليم، فعلى شبكة الإنترنت يوجد موقع طائفي يسمى شبكة راصد الإخبارية يعرفه الصفار جيداً وفيه من الطعن في ولاة الأمر الشيء الكثير، وفيه نشر لأفكار المجرمين أمثال علي الأحمد وتلميع له وثناء عليه إلى غير ذلك من الفضائح المخزية، ولو كانت مثل هذه المقالات للطعن في أئمتهم أو مرجعيتهم لحذفت تلك المشاركات فوراً.

وقد قام ولاة الأمر مشكورين بحجب هذا الموقع الفاسد المفسد عن أبناء المملكة حتى لا يخرب عليهم دينهم ويمكن لأهل العلم الاطلاع على طوامه لمعرفة الحقيقة المرة عن طريق بعض البرامج.

سادساً: إن كلمة مكاشفات تستلزم من الشخص أن يكشف لنا عن حقيقته، ويستلزم ذلك أيضاً أن يكون ذا مصداقية لدينا، ولكن للأسف نجد أن الصفار يقرر ويؤكد على صحة مذهب التقية وأنه يدين به ويستدل له بأدلة كبيت العنكبوت ضعفاً ووهاء وبناء عليه كيف يمكن لنا أن نأمن أن يكون كل أو جل ما ذكره إنما هو

من باب التقية في دولةٍ الزمام فيها للأعداء أهل السنة كما هو منهج الشيعة المؤكد وديدنهم الدائم، وهذا ما فهمه أبناء طائفته ممن علق على مكاشفاته في موقع راصد المشار إليه، وأنقل هنا تعليقاً من هذه التعليقات للاطلاع:

يقول أبو زينب من القطيف:

الشيخ الصفار هو من الناس الذين يؤمنون بأنه بمجاملتهم إلى الوهابيين على حساب أبناء مذهبهم سوف ينالون حقوقهم السياسية والاقتصادية، وهذا ما لم ولن يحصل! انتهى.

لذا فإنه لا يمكن أن تؤخذ هذه المكاشفات على محمل التصديق إلا إذا تنصل الصفار من عقيدته في التقية وأن المسلم الحق هو الذي يجهر بما يعتقد، فالحمد لله لا يوجد سيف مصلت على رقبته وهو يتحدث حتى يتعلل بالخوف على النفس من قول ما يعتقد.

سابعاً: إن للصفار ديناً وهذا الدين له علماؤه ومراجعه التي استقى منها الصفار عقائده وعباداته ومعاملاته، وقد ذكر منها طائفة في أثناء حديثه، ولذا فنحن سنناقش الصفار في دعاواه المزعومة من خلال كتب دينه المعتمدة وعلماء ملته المعتبرين؛ لنثبت أن ما بين العقيدتين كما بين المشرقين لا كما صوره هو إما تقية وإما مروقاً من عقيدته وتمهيداً لدخوله في عقيدة أهل السنة، ونحن نأمل الأخير وإن كانت جماعته تعرف أنه الأول.

إن هذه الوقفات سوف تكون حول مسائل محددة تطرق لها الصفار وحاول إظهار خلاف حقيقة مذهبه تجاهها، وهي الأصول التي تؤكد المفارقة بين العقيدتين ونجملها فيما يأتي:

القرآن

السنة

الصحابة

عقيدة الإمامية

الرافضة في بلاد أهل السنة وأهل السنة في بلاد الرافضة

ولا شك في أن بيان عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية قد قتلها العلماء بحثاً وفضحاً في مؤلفات كثيرة أشهرها مؤلفات العالم الرباني إحسان إلهي ظهير المقتول ظلماً الشهيد بإذن الله في مجلدات عدة، ومنها الكتاب الفاضح وجاء دور المجوس في مجلدين الذي انتشر انتشار النار في الهشيم، ومنها رسالة لطيفة لمحب الدين الخطيب تسمى الخطوط العريضة وهي مفيدة جداً ومختصرة، وكذا كتاب قراءة في عقيدة الشيعة الإمامية للشلهوب، ومن الرسائل الجامعية الجامعة رسالة الدكتوراة لفضيلة الدكتور ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد. وله أيضاً: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة.

ومن آخر ما كتب في ذلك مذكرة مركزة دقيقة كتبها فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن سعد الشثري يسّر الله نشرها.

كما توجد محاضرات ومناظرات من أواخر ذلك مناظرة قناة المستقلة التي أقيمت هذا العام وأظهرت عوار هذه العقيدة المشوهة كما يوجد شريط صوتي مسجل لمجموعة من علماء الشيعة في العراق والكويت والبحرين والمملكة فيه مقاطع صوتية لهم ينفثون فيه عقائدهم الباطلة ويشهد عليهم بإنكارهم للتقارب، ولعنهم لأبي بكر وعمر وتكفيرهم لهما وتسويتهم في إجابة الدعاء بين الله وآحاد آل البيت وغير ذلك.

هذا خلا مواقع الإنترنت المتخصصة في ذلك مثل منتديات السرداب وموقع البرهان وغيرها.

*****

د.سميرة عبد الله أحمد البيات(*):

من وحي الحوار والمكاشفات القاسمية الصفارية(**)

طالعتنا جريدة المدينة الغراء بدءاً من تاريخ ٢٠٠٤/١٠/١م وعلى مدى حلقات خمس بحوار ماتع وجديد في نوعه على صحافتنا بين الصحفي اللامع عبد العزيز محمد قاسم وبين سماحة الشيخ الجليل حسن الصفار، وقد توقعت وأنا أطالع هذه السلسلة الذهبية من الحديث أن أجد فيها هذا الزخم الكبير من الأفكار والموضوعات التي تطل برأسها من ثنايا كلمات كلا المتحاورين، فالصحفي يعي تماماً عواقب ما سيقدم عليه من عواصف وأعاصير ما بعد مواجهة الشيخ ولذا فقد راح يجيش جيشه ويحشد جنده ليضع معارضيه في خندقه نفسه ليدافعوا معه أو عنه، والشيخ رأى في ذلك فرصة لا تعوض لعرض معاناة أمة من الناس لا ذنب لهم إلا أنهم يختلفون في ممارسة بعض شعائرهم (مع وجود أدلة شرعية تؤيد هذه الممارسة وإن كانوا غير مطالبين بتقديمها) وهو يريد بهذا العرض أن يفرض واقعاً جديداً يستفيد منه أبناء طائفته، ويؤسس لسنة حميدة تضعهم في المكانة التي يراهم جديرين بها في مجتمعاتهم وبين أبناء وطنهم، فاختار يوم الزينة أقصد يوم مجلسه الأسبوعي، وأن يحشر الناس مساءً ليشهدوا مولداً جديداً لِلَبِنة تقوي جدار الأمة وتشد من عضده في مواجهة سهام الأعداء الطائشة التي تريد تمزيق وحدة أمتنا وتقسيمها إلى فرق وطوائف متناحرة.

(*) إخصائية طب الأسنان، وكاتبة سعودية من أخواتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

(*) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ١٤٢٥/١١/٥هـ - ٢٠٠٤/١٢/١٧م.

وفي البداية لا بد من التوقف أمام خطوة هذا الكاتب الكبير التي اختصر بها الألف ميل وأخذ بها زمام المبادرة، وحاز قصب السبق بين أقرانه من أبناء مهنته التي أعدها السلطة الرابعة بما لها من نفوذ وسطوة على أطياف المجتمع وتوجيه تياراته الفكرية المختلفة، بل وبناء رأي عام مؤثر في توجهات صانعي القرار. ولا يعني توقفي أمام تقديمه لمكاشفاته تقليلاً لجهده ولا تقليلاً من شأن حججه وبراهينه التي سأتعرض لها بالنقاش والتحليل، بل على العكس تماماً أقدر كل فكرة طرحها مهما سأختلف معها؛ لأنه كاتب واعٍ لهموم وطنه وعلل مجتمعه وأساليب تفكير رموزه الفكرية، وأرى أن كل ما ذكره ليس بالضرورة معبراً عن قناعاته الشخصية وإنما هو ككاتب لا بد من أن يقرأ رد فعل قرائه على ما سيكتب حتى لا يفاجأ به، كما أود الإشارة هنا إلى أن ما هو آت من تعليقي على عموده بجوار المكاشفة الأولى هو أكبر دليل على عمق وثراء ما طرح من أفكار بدليل أنها من وجهة نظري وضعت أيدينا على أمور كنا نعدها من الأمور غير المؤثرة، ومجرد تسليطه للضوء عليها وتفكيرنا فيها وجدنا أنها بالفعل مما ينطبق عليه قول معظم النار: من مستصغر الشرر. ودعوني أدخل مباشرة في صلب ما كتب في عموده بتاريخ ١ /١٠ /٢٠٠٤م. والحق أنني أريد أن أستطرد في تحليلي لما بين السطور ولا أريد أن أتوقف؛ فالموضوع أكبر من أن نمر عليه مرور الكرام، وهو ليس مجرد حوار مع أحد المواطنين في المجتمع، فكثير من الحوارات يمكن أن تعتبر أكثر إثارة من هذا الحوار (أقصد الإثارة بالمفاهيم الدارجة في الصحافة) سواء بسبب المتحاورين أو موضوع الحوار أو زمن الحوار ومناسبته التاريخية، لكن لأنها البداية، ولكون كلا الطرفين متحفزاً لفك رموز الاشتباك بين أبناء الأمة الناتج عن تراكم المداميك المذهبية المتمنعة بهدوء وسلام ودون حدوث أي أضرار قد تنتج من تساقط هذه المداميك على رؤوس من يحاولون ذلك، كان لا بد من أن يقدم كلا المتحاورين لنفسه

وللآخرين ما يكوِّن جدار حماية له من ردود الأفعال غير الموضوعية، أو بأسلوب آخر غير المتوقعة، والأمر بحق يستحق الحكمة في التعامل، فمعاول الهدم كثيرة، والأيدي التي تمسك بها أكثر، والموضوع عميق في جذوره التاريخية.

وليسمح لي المتحاوران أولاً بالغوص في أعماق الموضوع لسبر الحقيقة، لماذا هذا الحوار؟ إنني أرى أن الهدف الرئيس لهذا الحوار هو ما ذكره الأخ الفاضل والصحفي البارز في عموده وأشير لهذه الأهداف فيما يأتي:

الحوار استجابة لدعوات صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمين الأمير عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله. وأتساءل: هل كان هناك قرار من ولي العهد بمنع الحوار ثم وافق أخيراً على فتح باب الحوار؟ وهل نحن بحاجة إلى انتظار توجيه من ولي الأمر ليمارس كل مسؤول عمله على الوجه الصحيح؟ وهل نحن مقصرون لدرجة أخجلتنا من أنفسنا فرحنا نبحث عمن نلصق به هذا القصور؟ وهل هناك قوى خفية لها بأس شديد من صالحها منع هذا الحوار ونبحث عمن نحتمي فيه لنبرر هذا العمل؟ وهل كل حوار مع مخالف لنا في الرأي أو الفكر أو العقيدة يحتاج لهذه التبريرات؟

الحوار وسيلة لبناء مجتمع متماسك النسيج ومترابط البنيان. هذه حقيقة مهمة لا يختلف عليها، وأشكر الكاتب الكبير على إبرازها، هنا فالحوار معناه الحياة والتعايش ونشر الثقافة حتى لو لم نتّفق، فليس الهدف من الحوار هو الاتفاق الكامل والتطابق التام، فهذا ضد طبيعة الأشياء.

الحوار يهدف للبحث عن صوت معتدل بين الآخر الطائفي شريكنا في الوطن للوصول لأرضية مشتركة نتعايش من خلالها تحت مظلة الوطن الواحد. لعلي هنا يحق لي التساؤل: هل الآخر الطائفي في المجتمع كما يسميه الأخ الفاضل يقف على

قدم المساواة معه؟ وله من الصلاحيات والقرارات ما يمكنه من فرض أطروحاته وقيمه للتعايش؟ أم إن الهدف هو التعرف منه على ما يحتاجه ليكون مواطناً فاعلاً في مجتمعه ويعالج به سلبيته وتقصيره؟ إنني أشكر الكاتب على إثارة هذه النقطة المهمة فكلنا أمام العَلَمِ سواسية نلبس ثوباً رحيباً اسمه ثوب المواطنة الذي لا يفرق بين مواطن وآخر بسبب جنسه ولا لونه ولا طائفته المذهبية، ولا يعني ذلك أن لنا مطالب استثنائية بل على العكس من ذلك تماماً نطالب أن يكون نصيب كل مواطن من العَلَمِ مثل الآخر تماماً من غير تمييز.

الحوار وسيلة للتعامل مع اللعبة السياسية العالمية، وجدار عازل يمنع من الصدام مع عواقبها (يشير لتقرير لجنة الحريات بالكونجرس الأمريكي) أرجو أن لا يفهم بعض الناس أن المقصود بذكر هذا السبب أن هذا الأمر لم نشعر به حتى نبهنا إليه بيان الخارجية الأمريكية، كما أنني لا أعتقد أن الهدف من وراء هذا السبب هو تهدئة للخائفين لما سيترتب على مثل هذه الحوارات من نتائج قد تهدد مصالحهم وامتيازاتهم، بمعنى أنه مجرد انحناء أمام الريح ويبقى الأمر على ما هو عليه! وأرى أن الهدف من ذلك هو بيان أن ظروف التغيرات العالمية تدفعنا لإعادة النظر في ممارساتنا تجاه أنفسنا والآخرين، وهذا أمر رائع يدل على كوننا أحياء في هذا العالم نؤثر فيه ونتأثر به، كما أود الإشارة إلى أن التفاؤل الشديد بنتائج سريعة للحوار ليس أمراً موضوعياً، وإنما يجب علينا السعي والأخذ بالأسباب لعلاج الواقع والرقي به للأفضل.

الحوار وسيلة للتأصيل التاريخي الموضوعي للحراك السياسي في المجتمع وتأثير ظروف المجتمع على توجهات أفراده وتشكيل اتجاهاتهم. وتلك قضية أخرى على قدر كبير من الأهمية وإلقاء الضوء عليها بشكل موضوعي يساعد بدور كبير على علاج كثير من مشكلاتنا الاجتماعية بموضوعية ويجعلنا نضعها في مكانها

الصحيح فلا نحاسب أجيال اليوم على ظروف اضطرتهم لممارسات طبيعية كرد فعل لما تعرضوا له، وكذلك نلتمس العذر لمن يقع تحت تأثير هذه الظروف فيما يصدر منه. وأقول إننا بحق في حاجة ماسة لكتابة تاريخنا كما حدث لا كما يراد لأحداثه الماضية أن تكون تجملاً أو تطرفاً.

والذي أراه في مثل ظروف مجتمعنا أن الهدف الرئيس للحوار هو التعرف على الآخر والعوامل التي أثرت في نشأته وعلاقة ذلك بظروف مجتمعه بصفة عامة ومنهجه الفكري وتوضيح ما يثار حول مذهبه الذي يدين به لا للحصول على براءة وصك بالموافقة على ممارسة شعائره، ولكن لكشف الافتراءات والأكاذيب التي تلصق به والتي يراد بها قيام حواجز نفسية بين أبناء الأمة، ليس بسبب ممارسة شعيرة بعينها وإنما بسبب تعدي أتباع مذهب على رموز مذهب آخر، وبالطبع فأنا أرى الأمر إلى هذا الحد أمراً طبيعياً، لكن بعضهم يصر على محاكمة فكر الآخر ومعتقده وإصدار أحكام عليه وكأنه مفوض من الله تعالى بما لم يفوض به رسول الله ﷺ، فمهمة الرسول هي البلاغ المبين وليس عليه من حساب الناس على معتقداتهم من شيء، ولا أحسب أن هناك عاقلاً يعطي لنفسه سلطات إلهية بمحاسبة الناس على ما يؤمنون به مهما رأى في نفسه من قدرات علمية أو غير ذلك؛ لأن الحساب في النهاية هو لله وحده.

السؤال الثاني: ماذا يتوقع الكاتب من نتائج لهذا الحوار؟

لقد توقع الكاتب الكريم أن تواجه مكاشفاته في هذا الموضوع بردود أفعال غير إيجابية، وساق لذلك أسباباً أراها جديرة بالمناقشة، أعرضها فيما يأتي:

عدم اعتياد الناس لمثل هذا الحوار: وبالفعل أشاطره القول بأن إلف الناس للشيء يكسر من حدته والعكس صحيح، فكثرة هذه الحوارات في وسائلنا

الإعلامية، وما أكثرها! خاصة الإعلام المرئي والمسموع تجعل الأمر طبيعياً للعامة والخاصة، فليس من المعقول أن تظل البرامج الدينية قاصرة على فئة دون أخرى.

الترسبات التاريخية و تشمل:

أ - الجذور التاريخية التي تقف حائطاً صلباً أمام قبول الآخر:

ويحق لي هنا التساؤل: كم من الأمة تعرف تاريخها لا أقول كما حدث بل حتى كما سجله المؤرخون بغض النظر عن رؤيتنا له؟ نحن أمة لا تقرأ، وهي بهذا فريسة لأصحاب الأهواء، ولا أحسب أن هناك من يقر التعامل مع الآخرين على أساس ماضٍ رسمه في ذهنه ونسج خيوط أحداثه في خياله، لنحرر التاريخ من هذه القضية، وأرى في تصحيح مناهج التاريخ التي يدرسها أبناؤنا أهم وسائل تبرئة التاريخ.

ب- التحالف التاريخي بين الشيخ والإمام:

حقيقة أنا لا أدري من أين أتى هؤلاء بمثل هذه الفرى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود؟ وهل يقصدون أن هذا التحالف قام على تقسيم الأمة إلى فرق متناحرة؟ أم أن هذا البناء العظيم أقيم على تقسيم أبنائه إلى طبقات سادة وعبيد؟ بمعنى أن هذا البناء أسس على الظلم، حاشا لله أن يكون الأمر كذلك، وإنما الأمر من وجهة نظري لا يعدو كونه بحثاً عن الأعذار، وتحايلاً على الأسباب الحقيقية، والتاريخ يخبرنا أن التعامل بين أبناء المجتمع السعودي كان في أفضل حالاته، ولم تطفُ مثل هذه القضايا على السطح من أي مسؤول عبر تاريخنا، ويشهد تاريخ الآباء والأجداد بالتعاون بين أبناء الوطن بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية وليت الإعلام يجعل من ذلك مادة لموضوعات توحد الأمة بزيارات لكبار السن ومناقشاتهم في الواقع الاجتماعي لبلادنا قديماً، ولماذا طفت هذه الأمور بهذه الشدة في هذه الأيام؟ وما هي الأوساط المستفيدة من ذلك وتغذيه؟

عوائق الاعتراف بالآخر والناتج عن الأسباب السابقة:

هذه معضلة كبرى في فهمنا لعلاقتنا بالآخر فنحن نفترض دائماً أننا نتحاور لنحصل على حق الوجود من الآخر، ولعل هذه النقطة بالذات تفتح باباً كبيراً من النقاش، فلا شك في أننا نهدف أيضاً من وراء مثل هذه الحوارات والمكاشفات لإثارة دافعية أبناء الأمة على مختلف مذاهبهم ليحققوا مراد الله تعالى من خلقهم ليكونوا خلفاء له في الأرض، وليتعارف بعضهم على بعض، وليعمروا الأرض التي أنشأهم الله منها، وليبرز كلّ منهم كوامن إبداع الله تعالى فيه كمخلوق فرد لا يتكرر في غيره ليحققوا بإبداعاتهم سنة الاختلاف في الكون.

كثرة العوائق التي تحول دون التعايش تحت مظلة وطن واحد:

حقيقة أنا أختلف مع هذا السبب كثيراً؛ لأن الواقع لا يقول ذلك ولا التاريخ ولا الجغرافيا، ولكن الكاتب يستشرف بهذا السبب - من وجهة نظري - الواقع الاجتماعي المتأصل من ممارساتنا مع بعضنا، ولعل في هذا فرصة سانحة لأذكر بعض العوامل التي تسهم في التعايش والانتماء، وقد فصلت ذلك في كتابي؛ الهرم التربوي وتحديات العصر (تحت الطبع) وأشرت لذلك في كتابي؛ موسم الحصاد الفائز بالجائزة الثانية في مهرجان أبها الثقافي، وذلك في الفصل الخاص بأسباب الإرهاب، ومن هذه العوامل التي تؤثر في الانتماء (وهو دافع للتعايش بين أبناء الأمة) لشيء ما بصفة عامة، وللدين والوطن بصفة خاصة ما يأتي:

أ. **العلم** بهذا الشيء علماً نافياً للجهالة به، وبالطبع فالعلم بالدين الإسلامي هو من الأمور التي يجب على المسلم أن يتقنها، إذ كيف يعبد ربه بغير علم؟ ويشمل العلم هنا معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، ومعرفة النبي ﷺ، ومعرفة الدين الذي جاء به من حيث أوامره ونواهيه، ومعرفة الكتاب الذي أُنزل عليه، ومعرفة

الرجال الذين حملوا هذا الدين إلينا) وحتى يكون العلم صحيحاً فلا بد من تحري الدقة فيمن نأخذ عنه ديننا، غير متأثرين في ذلك بما ورثناه من ممارسات الآباء والأمهات حتى يثبت لنا أنهم كانوا يعبدون الله على علم.

ب. الحق في تعلم وتلقي الدين من المصادر التي يفضلها وبالطريقة التي يراها مناسبة دون أن يفرض عليه رأياً، أو مذهباً معيناً. وكذا نشر كتب العلم التي تساعده على التعلم دون تضييق عليه في ذلك لأي سبب من الأسباب، ولعلي هنا أشير إلى سعة الإسلام في التفاعل مع تنوع المذاهب الفقهية، فجميع المذاهب الإسلامية تتفق في أصول الدين، والاختلافات فقط في بعض الفروع، وهذه الاختلافات ليست فقط بين المذاهب، بل تجدها داخل المذهب الواحد، وقد تنوع أصحاب الرسول من بعده في فتواهم في المسألة الواحدة بأكثر من رأي، ولم يعب أحدهم على الآخر، وهناك الكثير من الأبحاث المعنونة بأدب الخلاف، عرَّف فيها الباحثون الخلاف، وعددوا أنواعه، وأفاضوا في ذكر أمثلة من مسائل الخلاف بين الصحابة.

ج. **الحرية:** فحرية الإنسان في ممارسة شعائر دينه حسب الطريقة التي يراها صحيحة من وجهة نظره، وفي الأماكن والأوقات التي يفضلها ووفق ما يميل إليه من مصادر علم، مادام لا يضر بذلك أحداً.

د. **الاحترام:** من الآخرين عندما يمارس الإنسان شعائره الدينية فلا يتعرض له أو به أحد، وهذا الشعور لا يتأتى من طرف لطرف منّة منه عليه وإنما هو حق لكل إنسان، وقد أوجب الإسلام ذلك الحق لغير المسلمين، فمراعاته للمسلمين أولى، وآي القرآن صادحة بالتزام المسلمين بذلك تجاه غيرهم ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ**﴾. ولنتذكر جميعنا أننا دعاة ولسنا قضاة.

هـ. **التعاون:** فالمسلمون مأمورون بالتعاون على البر والتقوى، ونهوا عن التعاون على الإثم والعدوان، ولا بد للمسلمين من أن يتصفوا بالموضوعية في تعاملهم مع بعضهم ثم مع غيرهم، فأوجه الاتفاق بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أكثر من أن تحصى، وأوجه الاختلاف أقل من أن تعد، فلمَ نرغب عما اتفقنا عليه إلى ما يجب علينا أن يعذر بعضنا بعضاً فيه؟!.

و. **العدل** في التعامل بين أبناء الدين الواحد وإن اختلفت مواردهم، فالمشرب واحد، والله تعالى يقول: ﴿ **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ** ﴾، ألا تثير فينا هذه الآية الحنين إلى السمو في انتمائنا للإسلام ليرقى على المذهبية؟ الله تعالى أسمانا مسلمين وهو يعلم أننا سنتنوع في موارد تلقينا لعلوم الدين، فلم ننزع عن بعضنا لباس الإسلام وقد ألبسنا إياه ربنا؟ والمقصود بالعدل هنا، هو العدل في مستوى المعيشة، والتعليم، والعمل في الوظائف التي توفرها الدولة، وغير ذلك مما يتوجب العدل فيه من خدمات.

ز. **الحكم** بما أنزل الله تعالى بين المنتمين لدين أو لوطن هو صمام الأمن والأمان، وقد منّ الله تعالى علينا بوجودنا في هذا الوطن الغالي الذي يطبق شرع الله تعالى، ويعين بعضه بعضاً على طاعة ربه، فأعظم بها من نعمة أدامها الله علينا!

تفاجأ الكاتب بالوطنية الحقيقة لأبناء المنطقة ومعايشتهم لآمال الوطن وتطلعاته:

حقيقة أنا التي تفاجأت من مفاجأة الأخ الكريم بهذا الأمر، فلا التاريخ ولا الواقع يقول بأن بيننا من يهمل في عمله أو يهرب من وطنه حين يجد الجد، ومن يراجع سجلات الهيئات والمصالح الحكومية والخاصة إبان حرب الخليج يجد أن أبناء هذه المنطقة لم يتركوها ولم يتركوا أعمالهم في الحكومة أو القطاع الخاص،

كما أن مِن بيننا رجال أعمال وأطباء ومهندسين ومعلمين وفنيين تقنيين وماهرين وبارعين في كل التخصصات يخدمون وطنهم بتفانٍ وإخلاص، فهل هناك معيار للوطنية أعظم من ذلك؟

ولا أريد إنهاء هذا الموضوع دون أن أطرح سؤالاً، لماذا لا نفعّل الاحتفال باليوم الوطني لبلادنا؟ ألم تتوحد فيه بلادنا بعد فرقة؟ لمَ لا يكون يوماً نتعرف فيه أكثر على بلادنا وتراثها وطموحاتها؟ لمَ لا نجعل منه يوماً يولد فيه وطننا في نفوسنا من جديد؟ لمَ لا نجعله يوماً خالصاً للوطن أقصد أن تعطل فيه المصالح ونُشعر فيه كل من يقيم على أرضنا أن لنا يوماً كأيامهم نزهو ونفخر به، وحق لنا ذلك؟ فليكن هذا يوماً تتعرف فيه كل أسرة على المنطقة التي تعيش فيها والثقافات التي تنتشر في هذه المنطقة والمذاهب الفكرية والعقدية.

أختم مشاركتي هذه بالشكر والثناء الجميل لكلا المتحاورين، أولاً لشخص الأستاذ الفاضل عبد العزيز محمد قاسم على شجاعته وخرقه لجدار الصمت بل والحصار الخانق المفروض من الإعلام في عصر المعلومات على طائفة من أبناء الأمة واقتحامه لمشكلاتهم وتصديه لعرض أفكارهم، وتوفيقه في اختيار أحد رموزهم ثم لسعة اطلاعه ووعيه بما يثار حولهم من افتراءات وأكاذيب، وصدقه وأمانته في العرض، ووقوفه عند حدود ما يعلم، وعدم خوضه فيما لا يعلم، وترك الأمر فيما يشكل عليه لأصحاب العلم وطلابه، ويجمل ذلك كله بأمر عظيم هو بلاغته في العرض، ومفرداته الراقية في الحوار مع سخونة ما عرض من قضايا، وقوة ما طرح من فكر، وهو أمر ليس غريباً عليه، فإذا أضفنا لذلك وعيه لسير الحوار ومعرفته لهدفه تشكل لدينا أنموذج لما يجب أن يسود إعلامنا من قضايا ومناقشات تبني ولا تهدم، تجمع ولا تفرق، توضح الأمور والأفكار ولا تزيدها غموضاً.

ثم الشكر موصول للشيخ الجليل والعالم العامل على تواضعه ونسبته الفضل في حياته لأهل الفضل عليه، وعدم تجمله في وصف واقع نشأته وأمانته في عرض مراحل حياته، وأسلوبه الراقي في الحوار، ومنطقه الإقناعي، ومعرفته بحدود دور رجل الدين، وعلمه باختلاف المذاهب الفقهية، وسمو دعوته، وحرصه على تشخيص الداء ووصف الدواء مستفيداً من خبرات وتجارب الآخرين من المجتمعات المحيطة بنا، وموضوعية منطقه وأطروحاته، وحكمه على واقع مجتمعه وطائفته، ينكر المنكر ولا يبرره، ويظهر المعروف وإن كان مراً ولا يجمله، وشفافية أفكاره، وحفاظه على هدوئه على الرغم من عنف ما طرح عليه من اتهامات، وإصراره على التواجد على الرغم من محاولات التهميش والتحييد، ورؤيته الواضحة لواقع الأمة على المستوى الخاص والعام، لا يتشوش في رؤياه بمذهبية، ولا يتسلح في طرحه بطموح لمنصب أو امتياز خاص، غارقاً في هموم أمته، عاملاً جاداً على فك رموز طلاسم قضاياها، فجزاه الله خيراً.

وجزى الله كل من أسهم في تقوية وتماسك أبناء هذه الأمة وأسهم في بناء المجتمعات بروح الملتقى على شعائر الإسلام وتغليب روحه على الصلات الخاصة والعامة.

*****

د. عزيزة المانع(*):

مكاشفات حسن الصفار(**)

على مدى أسابيع أربعة وصحفينا الشاب المتألق عبد العزيز قاسم، يواصل حواره الساخن مع الشيخ حسن الصفار على صفحات صحيفة (المدينة) في بابه الشهير (مكاشفات). وعلى مدى أسابيع أربعة والناس مقبلة على قراءة تلك المكاشفات بحماس اشتركوا فيه وإن اختلفت دوافعهم إليه، وكنت واحدة من أولئك المتحمسين لمتابعة الحوار.

ولعلها هذه هي المرة الأولى التي يُتاح فيها لشيخ من شيوخ إخواننا الشيعة أن يتحدث بهذا التوسع والوضوح، فيشرح لهم وجهة النظر الشيعية، ويصحح كثيراً من المفاهيم الخاطئة لدى بعض الناس عن الشيعة، وينفي بعض ما نسب إليهم من أقوال أو أفعال شوهت صورتهم لدى أهل السنة. وأشهد أن الشيخ حسن الصفار، بدا لي من خلال حديثه شخصاً مميزاً يتسم بسمات فكرية وخلقية لا تتوافر لكل أحد. فقد لفت نظري في حديثه عمق الوعي وبعد النظر والتعامل مع الواقع بعقلانية مطلقة، مع رقي في أسلوب الحديث وأدب جم عند ذكر من يختلف معهم، وقد لمستُ في حديثه دفاعاً منطقياً مقنعاً حول كثير مما يتداوله الناس عن الشيعة، وقد ساعده على ذلك ما يتمتع به من ذكاء ولباقة وحصافة بارزة جعلته يحتفظ بهدوئه واتزانه على مدى الأسابيع الأربعة على الرغم من مداخلات محاوره

(*) أكاديمية وكاتبة سعودية.

(*) عكاظ: جريدة يومية تصدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، العدد ١٣٩٣٩، الاثنين ١٤٢٥/٩/١١هـ - ٢٠٠٤/١٠/٢٥م.

المستفزة في كثير من الأحيان.

إن ما جاء في حديث الشيخ الصفار عبر المكاشفات هو كلام في غاية الأهمية ومن المصلحة الإصغاء إليه بعناية، وتحكيم العقل في التعامل معه لاستيعاب أبعاده العميقة. وتجاهل ما قد يثور في النفس من الانفعالات التي لا ينتج من الانسياق وراءها سوى بناء الأحقاد وبث روح الفتنة بين أبناء المجتمع الواحد.

لقد أفلح صاحب المكاشفات في أن يضمن مكاشفاته حواراً غنياً وعميقاً من خلال ما يطرحه من تساؤلات تتردد في أذهان الناس، واستوقفني منه تلك السعة في الاطلاع على التاريخ الشيعي والسني وما خاضته الفئتان من معارك الخلاف المادي والمعنوي. وغوصه في طرح قضايا حساسة، وهو بلا شك يحمد له خوضه هذه التجربة الشائكة ودخوله هذه المغامرة التي تهرب منها كثيرون.

شيء واحد أتمنى أن يحرص عليه صاحب المكاشفات، وهو أن يصر على تنقية ما يصل إليه من مداخلات مما يعلق بها من شوائب اللفظ المخل بالذوق والأدب، وما قد تتلبس به من تجريح وأذى، وذلك كي لا تتحول المكاشفات إلى منبر للإساءة ودعم الشقاق، وذلك عكس ما يرجى منها.

*****

جعفر محمد الشايب(*):

التسامح الديني وضرورة التعدد المذهبي(**)

لا شك في أن العمل الجريء الذي قدمه الأستاذ عبد العزيز قاسم في مكاشفاته مع الشيخ حسن الصفار يضاف إلى رصيده المهني وحواره الرصين في سلسة (مكاشفات) مع أبرز القيادات الدينية والشخصيات الاجتماعية والسياسية في المملكة. وتبرز أهمية ذلك في استنطاق التجربة من أصحابها الذين عايشوها وبصورة مباشرة بهدف إطلاع الرأي العام عليها وتنمية الحراك الفكري والثقافي عبر مناقشة ونقد أطروحاتهم وأفكارهم ومواقفهم حول الآخر. ومن أجل الوصول بقارئه إلى أقصى آفاق القضايا المطروحة، وتقليب ما خفي منها، سعى قاسم إلى استفزاز محاوره من أجل تحريك التجربة في فضاءاتها المتعددة بتفاصيلها العملية والفكرية وعرضها بكل ما تحتويه، ومواجهته بكل القضايا المثارة حوله.

لعل ما يميز هذه المكاشفة عن سابقاتها أنها تناولت - إضافة إلى تميز الضيف وصراحته الجريئة - قضية من أكثر القضايا حساسية في المجتمع السعودي، وهي قضية العلاقة بين السلفيين والشيعة، حيث إن هذه المكاشفة أسهمت وبكل تأكيد وجرأة في طرح الملف الشيعي وقضاياه المتعددة كأحد هموم الوطن والمخلصين له، بعيداً عن المواقف المتشددة والحساسيات المفرطة. كما أن ضيف هذه الحلقات هو

(*) كاتب سعودي وناشط سياسي حقوقي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

(*) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ١٤٢٥/١٠/١٤هـ - ٢٠٠٤/١١/٢٦م.

من تبنى مشروع التعددية والتسامح والتنوع في أطروحته الشاملة التي دشنها قبل أكثر من عقد من الزمن، وألف حولها العديد من الدراسات والأبحاث والمحاضرات العامة.

لقد بينت هذه المكاشفات - وعلى مدار حلقاتها الخمس - عن الحاجة الملحة إلى التوعية الثقافية للجميع بالاتجاهات المذهبية والفكرية المختلفة السائدة بينهم، حتى لا يعيشوا غرباء عن بعضهم بعضاً، وتقوم اختلافاتهم على الجهل المطبق بحقائق الأطراف المختلفة. بالطبع فإن موضوعاً كهذا، بكل ما يحتويه من خلفيات تاريخية ومذهبية واجتماعية، لا يتوقع له أن يمر بهدوء دون زوبعة وإثارات؛ لأنه يحرك المياه الراكدة ويدفع باتجاه طرح المسكوت عنه علناً عسى أن يسهم في تعرية ما علق بهذا الموضوع من قضايا هي إلى الأوهام أقرب منها إلى الحقيقة.

رأيت في المكاشفات اتجاهين حاول أن يتقمصهما المحاور يعبران عن الحالة السائدة في المجتمع السعودي، الأول اتجاه نمطي يتسم بالتعالي وإلصاق التهم وينطلق من مسلمات غير قابلة للنقض، ويدين كل معتقدات وأفكار الآخر، ويشكك في منهجيته ووطنيته ومسلكه السياسي بصفته صاحب الحق المطلق. والثاني اتجاه منفتح باحث عن المعرفة والحقيقة يعطي لنفسه حق السؤال والاختلاف والاعتراض بهدف التعرف والفهم، كما يعطي للآخر حق الرد والحرية في التعبير عن ذاته وأفكاره ومواقفه، بكل عقلانية وموضوعية واحترام، وضمن ثوابت دينية ومصالح وطنية محددة.

الاتجاه الأول لا يهمه أن يفهم الطرف المقابل؛ لأنه لا يبحث عن أرضية مشتركة بينه وبين الآخرين، ولا يملك مشروعاً للتلاقي والحوار من أجل تطوير علاقة التعاون والتآلف بين عناصر المجتمع ومكوناته المختلفة. يرى بأنه يمتلك الحقيقة كاملة، وعلى البقية - مهما كانوا - الانصياع له والاتباع لنهجه والتوبة من

التفكير في أي مسلك آخر. فكل ما عداه شر، وما سواه خاطئ. يدفع الآخرين دوماً باتجاه الزوايا الحادة والمناطق الحرجة. لديه مجموعة إشكالات ومواقف جاهزة منذ زمن، يرفعها كلافتات متى ما احتاج إليها. لا يقبل بالتعددية والتنوع والتعايش مع الأفكار الأخرى؛ لأنه يراها تأخذ حيزاً من مواقعه، فبدلاً من أن يحولها إلى روافد لفكره ونشاطه، يتعامل معها بكل فظاظة وعنف وشدة، ويقمعها حتى تتقوقع على ذاتها، وتتكفئ على نفسها، ويحرم الوطن من إسهاماتها.

الانكفاء والتقوقع يولد بطبيعة الحال تطرفاً مقابلاً كرد فعل على القمع والتشدد، فالأفكار لا يمكن سجنها، والمعتقدات لا يمكن تطويعها بالقوة، بل تزداد تطرفاً وحدة عندما تحاصر وتقمع. وهكذا يتولد تشدد مزدوج وتطرف متشعب، يتعقد أكثر وأكثر مع مرور الزمن وتتابع الأحداث. وتتحول الاجتهادات الفرعية إلى خلافات أصلية، ثم تصاغ حولها نظريات تجعلها في حكم المسلمات النهائية والمطلقة.

هذا الاتجاه هو الذي ساد في معظم العلاقة بين الفرق والمذاهب الإسلامية، وطغى على لغة الحوار والتقريب، ووأد أي محاولات إصلاح في هذا المجال في مهدها. وبالطبع فإن ذلك أضر بالأمة الإسلامية كثيرًا وشتت جهودها وفرق صفوفها، بل وأتاح فرصاً ذهبية لأعدائها كي يتمكنوا من اختراقها والسيطرة عليها وعلى خيراتها.

في مقابل ذلك، يسعى الاتجاه الثاني الداعي إلى الانفتاح والحوار إلى تعزيز وجوده في الساحة الإسلامية عامة والوطنية خاصة - وتحديداً في ظل التحديات التي يمر بها المجتمع - وذلك من خلال الجهود الكبيرة والجريئة التي يقوم بها المثقفون المتنورون - ومنهم الأستاذ عبد العزيز قاسم - أملاً في إعادة صياغة الخطاب التقليدي ورسم صورة جديدة للذات وللآخر، وخاصة بعد أحداث سبتمبر التي دفعت بالجميع إلى إعادة قراءة الوضع الاجتماعي والخطاب الديني بنفس مختلف تماماً.

وعلى ضفتي نهر الحوار الإسلامي الإسلامي، ينبري هؤلاء المثقفون حاملين لواء الوحدة ومبادئ التعايش والحوار والتسامح الديني والتعدد المذهبي، يؤصلون لهذه المبادئ من صلب الدعوة المحمدية، ويبحثون عن المشتركات بين جميع الأطراف، ويدفعون باتجاه وحدة الصف والموقف الوطني الثابت. إن ما نشره أبناء هذا الوطن من الإسلاميين المعتدلين طوال الحقبة الماضية يعد رصيداً ثرياً لخلق أرضية مناسبة للتواصل والحوار. فكتابات كل من زكي الميلاد، ومحمد محفوظ، ومحمد الهرفي، وعبد الله العتيبي، وعبد الله اليوسف، وإبراهيم البليهي - كنماذج شاخصة -، كلها تصب في خدمة هذا الاتجاه وتعزز التوجه إلى معالجة أزمة الحوار المذهبي.

ليس من شك في أن هنالك تحديات كبيرة أمام هذا المشروع الحضاري والإنساني، أبرزها تأثير الشارع وعموم الأتباع على من يتبنى مثل هذا الاتجاه، ويدعو إلى التواصل والحوار وتجاوز تعقيدات المسألة المذهبية، ويبحث عن المصالح الكبرى. فالتيار الشعبي العام قد عُبئ لسنوات طويلة بأفكار متشددة ومغالية لا تقبل الآخر وتتعاطى معه، ولذا فهو يرى في مثل هذا التحول خيانة بالرسالة التي سلم إياها، والمبادئ التي اعتنقها. كما أن هنالك رموزاً وشخصيات عاشت طوال حياتها تبث هذه الأفكار وتعبّئ نحوها، فهل يمكن أن تتنازل عن أفكارها بهذه السهولة وخاصة أنها ألفت هذا المنحى وتعودت عليه؟ كما أن هنالك من يغذي هذه التوجهات المتشددة، كي يبقي جذوة الخلافات قائمة، وما الأحداث الطائفية التي تترى في مناطق العيش المشتركة كالباكستان والعراق إلا نماذج للنية في استمرار التوتر قائماً بين الطرفين.

على الصعيد الوطني، نحن في أمس الحاجة إلى تعزيز حالة الانفتاح والتواصل التي ينبغي أن تبدأ من خلال التعارف المباشر والواضح. ووسائل الإعلام الرسمية تتحمل مسؤولية كبرى في توظيف إمكانياتها لخدمة هذا الغرض، وتوفير

الفرص أمام الجميع للبحث عن المشتركات حتى مع وجود الاختلافات. الصحافة، الكتاب، المؤتمرات، المحطات الإذاعية والتلفزيونية كلها يمكن أن تلعب دوراً محورياً في هذا المجال. كما أن مناهج التعليم تتحمل جزءاً من المسؤولية عبر تعريف الناشئة بالتوجهات الفكرية والمذهبية القائمة واحترامها والتعاطي الإيجابي معها.

في مدينة تورنتو بكندا حضرت فتاة سعودية لمدرستها الابتدائية في أيام شهر رمضان، وفي وقت الفسحة لاحظ زملاؤها وزميلاتها أنها لم تأكل معهم كالمعتاد. فسألوها فأخبرتهم بأنها صائمة، ولا يجوز لها أن تأكل. نقل الطلاب كلامها إلى مدرستهم، فاهتمت بالموضوع وطلبت من الطالبة السعودية أن تشرح لزملائها ذلك، ومبرراته، وأهدافه. ترددت الطالبة ولكنها أعطت فكرة مبسطة حسب فهمها للموضوع. المدرسة اهتمت أكثر بالأمر، واتصلت بوالدة الطالبة ودعتها للحضور، وطلبت منها أن تلقي كلمة على جميع مدرسي ومدرسات المدرسة بخصوص هذا الموضوع حتى يستطيعوا نقله إلى طلبتهم، ليتفهموا الموضوع ويتعاملوا معه باحترام. هكذا تحترم المراكز التربوية الاختلاف والتنوع وتتعايش معه.

*****

أحمد الكاتب (*):

أتمنى من الشيخ الصفار أن يقوم بمراجعة موضوع الإمام الغائب وبقائه حياً بعيداً عن الضغط الشعبي.

لقد شعرت في البداية بسرور كبير لإجراء الحوار بينكم وبين سماحة الشيخ الصفار الذي عرفته أخاً وصديقاً منذ أيام دراسته في الكويت في السبعينيات من القرن الماضي، وذلك نظراً لرفض بعض الإخوة السلفيين مجرد الحوار مع الشيعة. وقد اطلعت قبل شهور على ردود فعل بعض منهم على لقاء الشيخ عوض القرني به، وأعتقد أن الكثير من الناس الرافضين للحوار يحمل تصورات عن الآخر وخاصة عن الشيعة من الكتب الصفراء القديمة أكثر مما يأخذها من الناس مباشرة ومن الواقع، ولذلك فإنه يحمل تصورات كلية عامة خاطئة ويطبقها على الأفراد بصورة صحيحة، وأذكر أنني كنت أتحدث قبل أسابيع مع أخ عزيز فذكرت اسم الشيخ الصفار عرضاً، فعلق الشيخ بسرعة:

إنه شيخي، من الفرقة الشيعية المغالية، فقلت له: هل رأيت الشيخ الصفار؟ أو التقيت به؟ أو قرأت له؟ فقال: كلا: فقلت متعجباً: ولكن كيف تحكم عليه دون أن تراه؟

وكنت ذات مرة أصلي في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة، فتعرفت على شيخ من بريدة وسألني عن بلدي، فقلت له: إنني من العراق ومن كربلاء، فأجاب بسرعة: من الذين يعبدون الإمام علياً؟ فقلت له: ومن قال لك إن الشيعة يعبدون الإمام علياً؟

(*) باحث في الفكر الإسلامي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالعراق.

هل رأيتهم؟ أو تعرفت عليهم؟ وهل تعرفني شخصياً وتعرف آرائي وأفكاري؟ وإذا كنت أعبد الإمام علياً فلماذا أنا في مسجد الرسول أصلي الجماعة معك؟ فقال: إنه يحمل تصوراته من مشايخه الذين لا يمكن أن يخطئوا. فقلت له متعجباً: كيف تقبل تصديق اتهامات خطيرة بحق طائفة كبيرة من المسلمين إلى حد تكفيرهم بناءً على أقوال شخصية غير دقيقة؟

إن الحوار مع الآخر يتأثر أحياناً كثيرة بالأجواء السياسية، فيتوتر إذا كانت متوترة ويهدأ إذا كانت هادئة، ويقوم في أحيان كثيرة بتضخيم الصورة الذاتية، فإذا كان الشخص أو الفريق يعتقد أنه على الحق مائة بالمائة، فإنه سوف يعتقد بصورة أوتوماتيكية أن الطرف الآخر مبطل مائة بالمائة، وقد ابتلي المسلمون قديماً وحديثاً بمدارس وأشخاص يضيقون باب الدين إلى درجة كبيرة بحيث لا يدخلون ولا يستطيع أن يدخلها غيرهم أو بضعة أشخاص معهم، ويكفرون بالتالي عامة المسلمين أو يبدعونهم ويضللونهم، ويتخذون مواقف سلبية منهم.

إن الحوار مع الشيعة مثلاً يتم على ضوء قراءة قديمة للشيعة من خلال الكتب التي كتبت أيام السجالات الطائفية في القرون الوسطى، ولا ينظر إلى واقع التطورات الكبيرة والكثيرة التي حدثت في صفوف الشيعة، ودون النظر إلى فرقهم المختلفة أو التفريق بين العام المعتدل والخاص المتطرف، ويتم أحياناً الخلط المتعمد بين الجميع ،وهذا لا يجوز شرعاً ويسيء إلى الجميع سياسياً.

يذكرني الحوار بين المسلمين، بالحوار العقيم الذي يجري أحياناً في الغرب بين الأوربيين والعرب والمسلمين، على أساس ما يحمله الإنسان الغربي من صور نمطية جاهلة وظالمة وغير دقيقة عن العرب والمسلمين والخلط بين جماهيرهم وبين المتطرفين والإرهابيين الذين لا يشكلون نسبة يعتد بها بين المسلمين. كما قال الشيخ حسن الصفار: «إننا نعاني كثيراً من الصور النمطية ومن الأحكام التعميمية حينما

تحصل أعمال إرهابية من قبل جهات سنية يقال شرذمة من الإرهابيين والمغرر بهم، ولا تعمم على كل السنة أو السلفيين، ولكن حينما يحصل شيء من قبل أفراد من الشيعة تصدر الأحكام الشاملة والتعميمية، هل هذا من العدل؟» إن معظم علماء السنة علاوة على عامتهم يجهلون التطورات الجذرية التي حصلت عند الشيعة منذ ألف سنة وحتى الآن، ويحاسبون الشيعة على مرحلة القرن الرابع الهجري التي تم فيها جمع كتاب الكافي وكتب الحديث الأخرى، والتي تعرضت إلى نقد الشيعة قبل غيرهم، وخاصة عندما فتح الشيعة باب الاجتهاد في أيام الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي في القرن الخامس الهجري، وما سببه ذلك التطور من تقارب كبير بين الشيعة والسنة، أما التطور الآخر المهم جداً الذي حصل عند الشيعة فهو قولهم بنظرية ولاية الفقيه والشورى، وتخليهم عن اشتراط العصمة أو النص في الإمام، وقبولهم بولاية المؤمن أو الفقيه العادل، على أساس الشورى، وهو ما جرى في إيران ويجري الآن في العراق حيث يؤمن الشيعة بقيادة المرجعية الدينية بالنظام الديمقراطي الإسلامي، وهو نظام مشترك بين الشيعة والسنة، لا بل إنه يقضي على أي فوارق بين السنة والشيعة في المجال السياسي، وكما تعلمون فإن الخلاف السياسي حول الإمامة كان أساس الخلاف بين الشيعة الإمامية الذين كانوا يعتقدون بنظرية النص والتعيين من قبل الله، وبانتقال الإمامة في ذرية علي والحسين إلى يوم القيامة، وبين أهل السنة الذين كانوا يعتقدون بنظرية الشورى وانتخاب أهل الحل والعقد للإمام، ولا يشترطون العصمة ولا النص في الإمام.

وهو ما قبله الشيعة الإمامية اليوم، وأحدث ثورة فكرية في داخلهم جعلتهم في الحقيقة صورة أخرى عن السنة، وأزال الفوارق القديمة التاريخية التي كانت بينهم في القرون الأولى.

وما يوجد الآن من مشكلات بين الشيعة والسنة ما هي إلا مخلفات لتلك الصراعات التاريخية المنقرضة والبائدة، ومنها مسألة الموقف السلبي من بعض الشيعة من الصحابة أو الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، حيث يعتقدون أن النبي ﷺ قد عين الإمام علياً خليفة من بعده، وأن الآخرين قد اغتصبوا الخلافة منه، وأود أن أوضح أن الشيعة قديماً وحديثاً لم يكونوا يعتقدون كلهم بهذه النظرية التي كانت محل جدل ونقاش، ومبنية على روايات ضعيفة، وقد كان ينكرها كثير من الشيعة في السابق واللاحق.

لقد كان هناك في التاريخ الشيعي تياران يؤمن أحدهما بالعقل والاجتهاد والتحقيق، ينظر في الروايات الواردة في كتب التراث نظرة شك وتحقيق، ويرفض أن يصدق كل ما جاء في الكتب القديمة، وتيار آخر كان يسمى التيار الإخباري الأقرب إلى الحشوية عند أهل السنة الذين يصدقون بكثير من الروايات الضعيفة والمختلقة. ونحمد الله على قيام المدرسة الأصولية عند الشيعة في القرون الأخيرة التي قامت بمجابهة التيار الإخباري ونقد كثير من الروايات، على الرغم من وجود بعض المواضيع التي تحتاج إلى مزيد من التحقيق والمراجعة والنقد، مثل موضوع الإمامة والإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) وإذا كنت أتفق مع الشيخ الصفار في كثير من الأمور التي طرحها في حواراته، وأعجب بها، وخاصة دعوته لوضع ميثاق شرف إسلامي يضع حداً للمهاترات بين الطوائف.

حيث أؤكد ما قاله من أن «مراجع الشيعة وعلماءهم مستعدون لميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية، يؤكد على وحدة الأمة، وعلى مرجعية الكتاب والسنة، وعلى الاحترام المتبادل، وخدمة المصلحة العامة». و«إن الخلاف بين الشيعة والسنة ليس خلافاً في الأصول، وإنما هو في الفروع» فإنني أختلف معه في قوله: «إن الخلاف بين الطائفتين قديم ولا يمكن إضافة شيء

عليه، إذ اعتقد أن الحوار بين الطرفين والحوار الذاتي في داخل كل طائفة يمكن أن يقرب أكثر، ويمكن أن يزيل الكثير من عناصر التوتر والخلاف».

وفي هذا المجال أعتقد أن مراجعة الشيعة لموضوع وجود الإمام الثاني عشر وولادته في القرن الثالث الهجري وبقائه على قيد الحياة إلى اليوم، من المواضيع الخلافية المهمة التي يمكن الحوار حولها داخلياً وخارجياً، أي: في داخل الشيعة أنفسهم؛ لأنه موضوع يهم العلاقة السياسية داخل الشيعة وبينهم وبين قيادتهم المرجعية، وفيما إذا كان المرجع الديني نائباً عن الإمام المعصوم الغائب أم لا. وبالتالي فإن له ولاية سياسية على الناس أو لا وبكلمة أخرى إن مراجعة موضوع وجود الإمام الثاني عشر يؤثر على الموقف من نظرية ولاية الفقيه التي تستمد شرعيتها من النيابة عن الإمام، وتعدّ نفسها امتدادًا لخط السماء، وأن التوصل إلى عدم صحة وجود ذلك الإمام وولادته يحرر الشيعة من هيمنة المرجعية الدينية، ويعطيهم جرعة كبيرة من الحرية والديمقراطية، إضافة إلى أن الموضوع يؤثر على نظرية الإمامة، والموقف منها، وبالتالي يمكن أن يقود الشيعة إلى نظرة معتدلة جداً عن أهل البيت وكونهم معينين من قبل الله أو ليسوا كذلك.

وكنت أتمنى من الشيخ الصفار أن يقوم بمراجعة هذا الموضوع، بعيداً عن الضغط الشعبي الذي يفرض أحياناً مواقف فكرية على العلماء، في حين يجب أن يقود العلماء العامة ويطرحون ما يرونه صحيحاً من الأفكار والعقائد بغض النظر عن قبول العامة لهم أو عدم قبولهم.

لقد تحدث الشيخ الصفار - حفظه الله - عن اتفاق المسلمين الشيعة والسنة حول ظهور إمام مهدي آخر الزمان من عترة الرسول من ولد فاطمة يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورًا، وورود أحاديث صحيحة متواترة عن رسول الله بالإخبار بذلك.

ثم تحدث الشيخ الصفار عن انفراد الشيعة بالإيمان بولادة الإمام المهدي، وجاء ببعض الروايات من كتب أهل السنة، وتمنيت على الشيخ أن يقوم بدراسة أعمق للروايات الشيعية الواردة حول الموضوع قبل أن يستشهد بروايات السنة الناقلة لرأي الشيعة أو المعتمدة تقليداً عليه.

ومع اتفاقي مع الشيخ الصفار في أن الاعتقاد بالإمام الغائب جزئية عقدية يؤمن بها من ثبتت لديه بالدليل والبرهان، ومن يرفضها لعدم ثبوتها لديه لا يخرج عن الإسلام. إلا أنني أدعوه للتوقف أكثر عند الأدلة التي ساقها حول وجوده من مثل حديث: «إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة» لكي يتضح لديه أن هذا ليس دليلاً علمياً على ولادته بقدر ما هو افتراض فلسفي كلامي يتناقض مع نظرية الإمامة التي تشترط وجود إمام حي ظاهر، كما كان يقول الشيعة السابقون.

وأختلف مع الشيخ الصفار في أن الإيمان بوجود الإمام الغائب أضر كثيراً بالشيعة حين غيبهم عن الحياة قروناً طويلة من الزمن، وإن نهضة الشيعة المعاصرة تمت بعد التخلي عن انتظار الإمام الغائب، وأخذ المبادرة لقيادة الشيعة ومحاربة الأنظمة الظالمة كنظام الشاه ونظام صدام حسين.

وأود الإشارة في النهاية إلى ما قدمه الشيخ الصفار من نظريات شيعية متقدمة مثل نظرية الشورى وولاية الأمة على نفسها، بأنها تشكل ثورة شيعية على الفكر السياسي القديم؛ الفكر الإمامي الذي يشترط وجود الإمام المعصوم المعين من قبل الله لإقامة الحكومة الإسلامية، وبالتالي فإنني أؤيده بضرورة تجاوز الفكر التاريخي والنظر إلى الأمور نظرة معاصرة، ومحاولة حل المشكلات السياسية الراهنة حلاً عقلياً.

وفي الحقيقة إن الحل السياسي العادل لمشكلات المجتمع كفيل بالقضاء على أي توترات طائفية، إذ إن التوترات الطائفية ما هي إلا غطاء للصراعات السياسية المتطرفة والمنحرفة.

وإذا كان بعض الناس في السعودية والخليج يتوجس من قيام الشيعة في بلدانهم بعد تولي الشيعة للسلطة في العراق، فإنني أقول له إنه يشبه أهل الكهف، في خروجهم بعد قرون من وفاتهم؛ إذ إن السنة اليوم ليسوا سنة ولا الشيعة شيعة كما كانوا في القرون القديمة أيام البويهيين والصفويين والعثمانيين والعباسيين، وإنما هم شعب واحد غير طائفي، يؤمن بالشورى أو الديمقراطية الإسلامية.

*****

الشيخ: عبدالله أحمد اليوسف(*):

المكاشفات خطوة نحو تأسيس التعارف المذهبي في بلادنا

قرأت باهتمام مكاشفات سماحة الشيخ حسن الصفار مع الأستاذ عبدالعزيز قاسم في جميع حلقاتها وبعض الردود عليها، وقد عكست هذه الخطوة مبادرة غير مسبوقة في صحافتنا المحلية، وهي مبادرة جريئة من الأستاذ عبدالعزيز القاسم ومن ملحق الرسالة، ونأمل أن تتبع هذه الخطوة خطوات أخرى للحديث عن المسكوت عنه في صحافتنا المحلية.

وانطلاقاً من هذه المكاشفات الجريئة والماتعة... أسجل بعض الملاحظات المهمة:

إن هذه المكاشفات قد فتحت الباب واسعاً نحو فهم أفضل للمذاهب الإسلامية الموجودة في بلادنا؛ فالمواطنون الشيعة الموجودون في المملكة العربية السعودية هم جزء لا يتجزأ من هذا الوطن الكبير، ومن الضروري أن يتعرف إخوتهم من أهل السنة والجماعة على معتقداتهم وأفكارهم، وقد أسهمت هذه المكاشفات في توضيح وتصحيح بعض الأفكار الخاطئة العالقة في أذهان بعض إخوتنا نتيجة للصورة النمطية الخاطئة عن الشيعة، ولعدم الاطلاع المباشر على فكر الشيعة من خلال كتبهم وعلمائهم، وقد جاءت هذه الخطوة من الأستاذ القاسم لتضع القارئ لملحق الرسالة أمام ما يراه الشيعة من خلال ما قاله أحد رموزهم في السعودية. فهذه

(*) باحث سعودي في شؤون الفكر الإسلامي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

المبادرة التي قادها الصحفي اللامع تعد خطوة نحو تأسيس معرفي للتعارف المذهبي، ونأمل أن تكون البداية نحو انفتاح حقيقي لمعرفة مختلف المذاهب الإسلامية والتعرف عليها من خلال مصادرها، إذ كثيراً ما يساء فهم كل مذهب للآخر نتيجة للاعتماد على ما كتبه خصوم ذلك المذهب وليس أتباعه. ولذلك أدعو كل مهتم بمعرفة عقائد وأفكار المذاهب الأخرى لأن يتعرف عليها من خلال ما كتبه علماء المذهب نفسه وليس من طريق خصومهم.

إن هذه المكاشفات الجديدة من نوعها في صحافتنا المحلية قد فتحت ملف التعددية المذهبية في مجتمعنا السعودي، فأبناء المجتمع السعودي - ولله الحمد - ينتمون إلى دين واحد وهو الإسلام، وفي دائرة الإسلام توجد مذاهب إسلامية، وظاهرة التعدد المذهبي ليست بالشيء الجديد؛ فقد بدأت المذاهب الإسلامية في التكون منذ بداية القرن الأول الهجري، ويحكي لنا التاريخ عن نشوء الكثير من المذاهب والفرق والمدارس الفقهية، ولكن بعضها لم ينتشر ولم يكثر أتباعها، مما أدى إلى انقراضها، أما الذين تأصلت مذاهبهم وبقيت إلى يومنا هذا.. فأهمها ما يأتي:

السنّة بمذاهبها الأربعة: الحنفي، الشافعي، المالكي، الحنبلي.

الشيعة بطوائفها الثلاث: الإمامية الاثني عشرية، الزيدية، الإسماعيلية.

الخوارج والمعروف منهم حالياً: الإباضية.

نستنتج من ذلك... أن ظاهرة (التعددية المذهبية) ظاهرة طبيعية، وسمة لازمة في جميع الأديان والعقائد، وأن الإسلام ليس بخارج عن تلك القاعدة، كما يؤكد على ذلك التاريخ الماضي والواقع المعاصر، وأنه لا يمكن إلغاء تلك المذاهب، ولكن من الممكن الاتفاق على (القواسم المشتركة) التي تجمع بين المذاهب الإسلامية المتعددة، والتسامح في الفروع الفقهية شتى ووجهات النظر المذهبية الأخرى.

ومن الطبيعي جداً أن يكون هناك تعدد في المذاهب، ومن ثم في الآراء والأفكار والتصورات، ولكن الشيء غير المنطقي هو أن يدّعي أحد أن له وحده حق فهم الإسلام، ومصادرة هذا الحق من الآخرين، وأن له حق تفسير النصوص حسب فهمه، وليس للآخرين إلا أن يكونوا نسخاً مكررة عنه، واتهام مخالفيه بمخالفة السنّة، والخروج من دائرة الدين، والوقوع في حبائل الشرك والكفر والضلال!!

إن التعصب بجميع أشكاله، ومحاربة فكر وآراء الآخر، والعمل على فرض آراء الذات بأي وسيلة لن يحقق إلا تمزيق الأمة وتفتيت وحدة المجتمع المسلم، وإضعاف الروح المعنوية، وخلق الفتن والصراعات والمعارك الجدلية، والحروب العبثية.. وهي عملية هدم لكيان الأمة كله.

ولا خيار أمام الأمة الإسلامية كي تتوحد، إلا بالتزام التعددية، ووحدة التنوع، فالأمة الإسلامية وحدة واحدة، تتفق كلها على أن دينها الإسلام؛ من هنا يمكن القول إن الوحدة بين أبناء الأمة ممكنة، ولكن في إطار التعددية، فهي وحدة واحدة في الدين ومتعددة مذهبياً في إطار هذه الوحدة!

فالتعددية المذهبية تعني: التعدد المذهبي في إطار الدين الواحد.

ومفهومها يعني أولاً: الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء المذهبي في مجتمع واحد أو دولة تضم مجتمعاً أو أكثر.

ويعني ثانياً: احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من اختلاف أو خلاف في الفروع أو غيرها.

ويعني ثالثاً: إيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك في إطار مناسب وبشكل يحول دون نشوب صراعات مذهبية تهدد سلامة المجتمع.

ومفهوم التعددية المذهبية يتضمن الإقرار بأن (أحداً لا يحق له نفي أحد) و(ضمان حرية التفكير والتعبير المذهبي للجميع) و(المساواة في ظل سيادة القانون).

ويجب التأكيد هنا على أن تعدد الفرق والمذاهب داخل الدين الإسلامي يشكل ظاهرة طبيعية، بل هي سمة ثابتة في جميع الأديان السماوية والوضعية.

وما دامت التعددية المذهبية شيئاً واقعاً في الأمة الإسلامية، فيجب ألا ينظر لهذه الحقيقة على أنها مشكلة أمام وحدة الوطن، أو وحدة الأمة، كما يحاول بعضهم إثبات ذلك، بل إن التعدد المذهبي هو عنصر إثراء وتكامل في الفكر الإسلامي، والمشكلة ليست في الاختلاف المذهبي وإنما في كيفية التعامل مع المخالف، وإدارة الاختلاف، فبدلاً من البحث المستميت عما يثبت خطأ المذهب المخالف دعونا نبحث عن القواسم المشتركة بين جميع المذاهب الإسلامية، فما يجمع بين مختلف المذاهب الإسلامية كثير، وما هو محل خلاف قليل، ومن المؤسف حقاً أن يتمسك بعضهم بهذا القليل ويتجاهل نقاط الاتفاق بين مختلف المذاهب!

إننا بحاجة - كمواطنين يجمعنا هذا الوطن الكبير - لأن ننفتح على بعضنا بعضاً، وأن نزيل الحواجز الوهمية التي تأسست بفعل التقاطع والجفاء، وقد أسهمت هذه المكاشفات - فيما أظن، وكذلك تأسيس مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني - في فتح الباب أمام مختلف المذاهب والمدارس الفكرية في مجتمعنا للتعبير عن نفسها، ونأمل ألا يتوقف الأستاذ عبدالعزيز القاسم عن مكاشفاته الجريئة، آملين أن يفتح لنا مكاشفات أخرى مع رأي آخر، وليكن بنكهة أخرى!

*****

د. عوض القرني(*)

من وحي مكاشفات الصفار(**)

- لا يمكن أن نضع الشيعة في سلة واحدة، وعلى عقلاء السنة والشيعة أن يتقاربوا

- استشرت العديد من العلماء والدعاة في زيارتي لأهل القطيف، واتفقوا على أن فيها مصلحة للأمة والوطن.

- قلت لطائفة الشيعة إن العلمانيين ليس لهم قاعدة شعبية وسيستخدمون طوائف الأقلية الدينية ليمزقوا الوطن.

- أقسم لي الصفار بالأيمان المغلظة إنه لم يسبّ الصحابة، وأعلن براءته إلى الله مما نشر باسمه.

- أقول لعقلاء الشيعة: لا تبقوا أسرى أحداث تاريخية مضت وانقضت، واتجهوا إلى القواسم المشتركة بينكم وبيننا.

- فتوى تحريم الحوار مع المبتدع وليدة ظرف تاريخي، وهي غير مستندة للكتاب والسنة.

حاوره: ياسر باعامر وسلطان حمزي:

على خلفية الزيارة التي قام بها الشيخ الدكتور عوض القرني إلى القطيف بناء على دعوة من الشيخ حسن الصفار (أحد أبرز رموز المذهب الشيعي بالقطيف) تنامت حدة التفاعلات - إيجاباً وسلباً - بين مؤيد ومعارض، حملنا أوراقنا التي حفلت باعتراضات المعترضين، ونشرناها على طاولة الشيخ لنسمع رأيه فيها،

(*) مفكر سعودي وأحد رموز التيار الإسلامي بالسعودية.

(**) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ١ رمضان ١٤٢٥هـ - ١٥ أكتوبر ٢٠٠٤م.

والشيخ عوض علاوة على أنه أصولي في تخصصه فهو مفكر ورمز من رموز التيار الإسلامي في المملكة، ومشرف على مجلة الجسور السعودية، ومجموعة من المجلات الأخرى هي المنار والفتيان، عرف بتناوله المؤصل العلمي للمسائل الفكرية كما أنه صاحب آراء جريئة، ففي حوارنا معه أكد بأن الحوار مع الآخر أياً كان مبدأ شرعي معتمد على الكتاب والسنة وفعل الصحابة، وأي فتوى غير تلك لا تقوم على أساس. وأنه لا يجامل الشيعة في أنهم أصحاب بدعة، كما يؤكد بأن الحوار غير الإقرار، وأن الشيعة ليسوا على رأي واحد.. وندعك قارئنا العزيز لتقرأ الحوار بنفسك:

هل كانت زيارة الشيخ عوض للقطيف مبنية على اجتهاد شخصي منه؟ وهل استشار الشيخ أياً من العلماء خصوصاً من هيئة كبار العلماء؟

- التواصل مع الشيخ حسن الصفار بدأ في مؤتمر الحوار الوطني الأول، وكنت أتابع بعض نتاجه سابقاً ويظهر أنه أيضاً يتابع بعض نتاجي، لكن لم يسبق المؤتمر أي اتصال بيننا وحين التقينا في مؤتمر الحوار حصلت هناك بعض الحوارات المعمقة والمكثفة، ثم كان هناك تواصل، كذلك عبر العديد من الوسائل، وكان يلح في الدعوة لزيارة القطيف، وعزمت على تلك الزيارة بعد أن استشرت العديد من العلماء والدعاة في الأمر، واتفق على أن الغالب على الظن أن الزيارة ستكون إيجابية، وفيها مصلحة للأمة والوطن، والنبي ﷺ قال عن قريش في يوم الحديبية: لا تدعوني قريش إلى خطة رشدٍ تعظم بها حرمات الله إلا أجبتها إلى ذلك. هذا أمر. الأمر الثاني أن مبدأ الحوار مبدأ شرعي، وأنا أؤمن به، فالله سبحانه وتعالى حاور أصنافاً شتى من الخلق؛ حاور الملائكة، وحاور إبليس، وحاور الأنبياء، والأنبياء حاوروا أقوامهم، والمصطفى ﷺ حاور المشركين، وحاور المنافقين، وحاور اليهود، وحاور النصارى، والقرآن مليء بقصص الحوار، فالحوار بالنسبة لي مبدأ شرعي

ولا غبار على شرعيته عندي مع أي إنسان كائناً من كان، إنما تطبيقه في ظرف زماني ومكاني وفي حالة معينة يحتاج إلى اجتهاد وتقدير لمدى المصالح المتوقعة التي تترتب على هذا الأمر، وهو ما حاولت من خلال الاستشارة والاستخارة تقديره، وبالتالي قررت أن أستجيب للرجل وأزوره، وهي في الواقع اجتهاد شخصي أتحمل نتائجه وحدي.

من هم العلماء الذين استشرتهم إن أمكن ذكرهم؟

- العديد من المشايخ من أصناف شتى، بعضهم كبار وبعضهم من الجيل المتوسط، ولقد استأنست برأيهم في هذا وطبعا ما استشرتهم على اعتبار أن لهم وصاية على فكري وعلى رأيي وعلى قناعاتي، لكن أستأنس برأيهم، والإنسان يشاور من يظن أن في مشاورتهم خيراً فشاورتهم وشاورت بعض الناس الذين لهم صلات سابقة مع الشيعة وزيارات في المملكة وخارج المملكة وغلب على ظني أن الزيارة سيكون فيها بإذن الله مصلحة راجحة.

لكن توقيت الزيارة هل كان مناسباً في الوقت الحالي؟

- كما قلت قبل قليل توقيت الزيارة قضية اجتهادية قد يخالفني فيها غيري، ومن حقه أن يخالفني، وأن يقول: الظرف غير مناسب، لكن مخالفته لي لا تلزمني باتباع رأيه في هذه القضية، أنا ظني أن الظرف مناسب لأسباب عدة، أولاً: أصبح هناك تواصل بيننا وبين القوم، ثانياً: المنطقة كلها مستهدفة من أمريكا ومن غيرها، والعقلاء من أهل المنطقة يعلمون أنه لا يمكن أن نقف في وجه العدو إلا إذا تجاوزنا خلافاتنا ومشكلاتنا ووصلنا إلى حلول وكلمة سواء، والأمر الثالث أنه حصل على مستوى المنطقة وعلى مستوى العالم اتصال فكري عبر وسائل الإعلام وعبر الإنترنت، مثلاً أنا أفكاري أصبحت منشورة في الفضائيات في الإنترنت في الصحافة، والشيخ الصفار مثل ذلك أيضاً أصبحت أفكاره منشورة، فعنده مواقع،

وعنده كتب، وعنده حوارات، فهذه أوجدت شيئاً من المعلومات السابقة لدى كل فريق عن الآخر إلى حد تجعله يقدم على هذه الخطوة وهو يمتلك شيئاً من الثقة والجرأة بأنه يفهم الآخر إلى حد ما، ويستطيع أن يخطو خطوات إيجابية في الحوار معه، أيضاً ما تمر به بلادنا نحن من ظروف خاصة بشكل عام سواء أكان في حوادث الإرهاب أو التطرف أو في الانفتاح أو الإصلاح أو جوانب أخرى متعددة، كل هذا يستدعي منا ألا نبقي هذه المشكلات التاريخية عقبات في طريق الإصلاح وحل المشكلات.

عفواً دكتور: تنزيل الواقع العراقي على الواقع السعودي بمعنى أن الأمريكان موجودون الآن في العراق بشكل كبير وهم فسحوا المجال للشيعة..! هل تخشى أن يتكرر في السعودية ما حصل في العراق أي: أن يمسك الشيعة بزمام الأمور؟ وهل يكون هذا السبب هو الدافع لهذه الزيارة؟

- لا، حقيقية لم يكن هذا هاجسي، كان الهاجس السياسي متأخراً جداً في التفكير، كان هاجسي بالدرجة الأولى فكرياً ثقافياً علمياً، وظني أنه هو العقبة الكؤود التي يجب أن نبحث حولها فيما بيننا وبين الشيعة، ولذلك أكدت أنا في حديثي معهم على أن نبتعد عن المناورات السياسية، والألاعيب السياسية وأن يكون حديثاً علمياً ثقافياً فكرياً مبرهناً عليه بالدليل والبرهان من الكتاب والسنة والعقل والحس والفطرة، وأن نتحاور في هذا الإطار، صحيح أن الشيعة في العراق في مجملهم وأكثرهم استخذوا أمام المحتل الأمريكي، وانفرد أهل السنة بالمقاومة، لكن أيضاً وجد من الشيعة بعض التيارات التي تقاوم المحتل الأمريكي، فأنا لا أريد أن أجعل الشيعة كلهم في سلة واحدة في العراق ثم لا أريد أيضاً أن أنزل الحال العراقي على الشيعة لدينا، فالأمر مختلف، فالشيعة يقولون: إنهم في العراق أكثرية وإن كان غيرهم لا يسلم لهم بذلك وهم الذين يشكلون أقلية قليلة جداً عندنا، فالمخاطر الموجودة هناك لو افترضنا أن الشيعة وضعوا أيديهم في يد أمريكا.. هذه المخاطر غير موجودة لدينا بالصورة نفسها.

يا شيخ أستأذنك في العودة إلى الوراء قليلاً، فأنت تقول إن الزيارة قامت على اجتهاد شخصي وأيضاً استشارة لبعض المشايخ.. فهل نعد هذه الزيارة رؤية صحوية جديدة أم إنها تبقى رؤية شخصية؟

- أنا أتحمل مسؤوليتها شخصياً ولا أحمل مسؤولية عملي لأي شخص آخر لا سابقاً ولا الآن ولا مستقبلاً، ولكنني أقول: أنا لكي أتوخى السلامة أكثر لخطواتي إذا أتيح لي عادة أن أستشير من أثق بعقله وعلمه وإخلاصه فعلت ذلك، وهذا ما حصل في هذه الخطوة، هذا جانب، الجانب الثاني في هذا السؤال الذي أشرت عندما تقول: هل هذه تعد رؤية صحوية؟ أنا أقول: إن مبدأ الحوار كما قلت قبل قليل مبدأ شرعي، وبالتالي لا يحتاج إلى تطور جديد لنأخذ به، إنما الجديد في أي حالة حوار هو متى وأين وكيف ينزل هذا المبدأ في الواقع الحياتي المعاش؟

إذن ما الرسالة التي تريد أن توجهها من خلال هذه الزيارة؟

- أنا أردت أن أوجه الرسالة ابتداء إلى من التقيت بهم من نخب الشيعة من طلبة علم ومثقفين ثم أنقل رسالة بعد ذلك إلى نخبنا نحن ومثقفينا، ثم بعد ذلك إلى الجماهير من الجانبين، فأما الرسالة التي أردت أن أرسلها إلى نخب الشيعة فهي أنني أردت أن أقول لهم إن مواجهة المشكلات والخلافات ينبغي أن تعتمد على منهجية علمية حقيقية صحيحة ترتكز إلى عصمة الوحي المنزل من الله إلى محمد ﷺ وإلى البرهان العقلي الذي لا يختلف عليه حين نواجه الخلافات والمشكلات بهذين الأمرين، فسنكتشف أن كثيراً مما نظنه خلافات هو في الحقيقة متوهم سنكتشف أيضاً أن هناك الكثير من المشكلات الحقيقية التي تحتاج منا أن نقوم بعملية تفكيك لها وتجزئة واستخراج مواطن الاتفاق فيها إلى أن نحصرها في أضيق نقطة ممكنه، ثم نرى موقعها في سلّم التدين لدينا ولدى الشيعة، وما يشكل اختلاف وجهة النظر فيها من خطورة، وحينئذ نكون أولاً قد فهم بعضنا بعضاً، وثانياً نكون قد قللنا

المشكلات والخلافات إلى أقصى حد ممكن، وحاولنا أن نجمع الأمة حول كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

لكنك يا شيخ عوض بهذا تهدم قناعة رُبينا عليها سنين ولُقنا إياها عبر المنهج الدراسي، ومازال لها أصوات تنادي بها إلى الآن تتمثل في أن الحوار مع المبتدع لا يجوز حتى يعود عن بدعته؟

- أولاً هذه القناعة هي نتيجة ظروف تاريخية، ولم تكن في يوم من الأيام مستندة للكتاب ولا للسنة فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يدعون قومهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً بينما أقوامهم الذين خالفوهم كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم، ويصرون ويستكبرون استكباراً كانوا يجعلون القطن في آذانهم، وكانوا يقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، فالحقيقة أن الذي يبحث عن الحوار ويحاور هو متبع الأنبياء، وهو الواثق مما لديه، وهو المطمئن إلى منهجه، وأن الذي يرفض الحوار هم الذين خالفوا الأنبياء وحاربوهم، أين نضع أنفسنا؟ وفي أي موقع؟ هذا أولاً، ثانياً: كيف يمكن للمخالف لنا أن يهتدي على أيدينا ويقبل ما نعرضه عليه إذا لم نتحاور معه ونتحدث معه، هل نملك القدرة القدرية لكي نسكب الحق في قلبه قناعات فيمسي ويصبح وقد اقتنع بما لدينا وعلم به دون أن يكون هناك حوار وأخذ وعطاء؟ طبعاً لا يقول بهذا عاقل، الأمر الثالث: أن ما نقل في ظروف تاريخية معينة عن بعض أئمتنا وبعض مشايخنا كان فتوى منهم في ظروف محددة، ولا يجوز أن نعطيها أكثر من حجمها؛ لأن الأصل ما كان في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عداه فهو استثناء، وبالتالي ما أظن أن قضية الحوار- ونحن أمة دعوة حتى مع اليهود أو النصارى أو البوذيين أو الهندوس - تكون محل خلاف عند العالمين بدين الله، وهانحن نذهب للدعوة في جميع بقاع الأرض، ونقيم مراكز دعوة الجاليات في كل مدينة، وفي كل حي، نحن أرباب دعوة، ولا نخشى من الحوار مع الآخرين.

ما دمت ترى أن مبدأ الحوار مبدأ قديم ومعتمد على الكتاب والسنة.. فلماذا إذن تأخرت منك هذه الخطوة إلى الآن؟

- هو ما ذكرته قبل قليل من أن تنزيل هذا المبدأ في الواقع هو قضية اجتهادية يتجاذبها ويؤثر فيها العديد من المؤثرات، ظروف الزمان وظروف المكان وقدرة المحاور وإمكانياته العلمية وعلمه بالآخر، ومدى استعداد الآخر أيضاً إلى أن يحاور، وقبوله للحوار، هذه كلها عوامل تؤثر في توقيت الحوار، ولكل أجل كتاب.

كيف لنا أن نفسر الحفاوة التي استقبلتك بها القطيف؟

- هذه تسألوهم عنها، يعني لم هذا الاحتفاء وقد لقيني من الشيعة سبعون وقبلها مباشرة لقيني من أهل السنة آلاف مؤلفة في مسجد من أكبر مساجد المنطقة الشرقية؟ لماذا ينظر إلى حفاوة السبعين ولا ينظر في حفاوة آلاف مؤلفة من أهل السنة.

يعني.. هل ثمة دلالات أخرى ممكن قراءتها؟

والله أرجو أن تكون دلالاتها الاستبشار بالحوار والانفتاح على الآخر وقبول الاستماع إليه، وظني أنه إذا استمع الإنسان إلى غيره فهو جدير بأن يصل معه إلى خير كثير.

في حوارك مع مجلة الجسور قلت:" ينبغي على أهل السنة ألا يلجئوا الشيعة للتعاون مع العلمانيين " ثم استضافت المجلة ذاتها - وأنت مشرفها - المرجع الشيعي حسن الصفار.. هل نفهم من هاتين الخطوتين أنهما مقدمة لهذه الزيارة؟

- لا، لم يكن الأمر بهذه الصورة، وأنا قلت بشكل صريح عندما التقيت بهم: إن العلمانيين ليس لهم قاعدة شعبية وسيستخدمون طوائف الأقلية الدينية ليمزقوا الوطن ويصعدوا على أكتاف هذه الطوائف، ثم يدمروا الجميع، وقلت: إن كنتم أصحاب دين فلا تسمحوا لهم بهذا مهما كان اختلافنا معكم، ووجدت تجاوباً جيداً

في هذا الباب، وقالوا: نعم هذا الكلام حق، ولا يجوز في حال من الأحوال أن نسمح للعلمانيين المتطرفين في عمالتهم أن يتخذونا وسيلة وجسراً يعبرون عليه إلى أهدافهم وغاياتهم في تمزيق الوطن وتفريق الأمة.

وهل ثمة خطوة قادمة تتلو هذه الزيارة؟

- نرجو.. لكن ما هنالك شيء متفق عليه، لكنني أرجو أن تتلو هذه الزيارة خطوات قادمة.

أضحيت علماً في فضح الحداثة والعلمانية في الحقبة الماضية غير أننا نراك الآن تزور من يسبون صحابة الرسول ﷺ ويحرفون القرآن الكريم.. فكيف نجمع بين النقيضين؟

- أظن أن هذا السؤال يصلح لأن يكون أربعة أسئلة أو خمسة لكن دعني أجب عليه قضية قضية:

أولاً: بالنسبة للحداثة وفضح الحداثة فقبل تأليف الكتاب عن الحداثة حاولنا أن نحاورهم مراراً وتكراراً، وكنا نلقى الصدود والاستهزاء والسخرية وتكميم الأفواه، ولعل عقلاءهم اعترفوا بذلك بعد زمن كسعيد السر يحيى وأحمد عائل فقيهي وعبد الله باهيثم وعبد الله سلمان قبلهم اعترف بذلك، فهم الذين كانوا يرفضون الحوار ويفرضون الحصار، ثم بعد صدور الكتاب أيضاً حرصت على الحوار وسلكت له طرقاً شتى، وتحاورت مع العديد منهم، وكان لهذا الحوار أثر في كثير من القضايا مع من تحاورت معهم، هذا الجانب الأول، والجانب الثاني: كيف أتحاور مع من يسبون الصحابة ويقومون بتحريف القرآن؟ فأولاً كما ذكرت: مبدأ الحوار مبدأ شرعي مع أي إنسان إذا غلب على الظن أن في الحوار معه مصلحة فيجوز كائناً ما كان موقفه، فمن هذا المنطلق يبقى تقديره كما قلت زماناً ومكاناً

وظرفاً قد أصيب فيها وقد أخطئ، وللآخرين الحق في أن يخالفوني فيها. القضية الثانية قضية تحريف القرآن وهو ليس دفاعاً عن الشيعة لكن في الحوار معهم قالوا لي: نحن نكفر من يعتقد أن القرآن محرف وناقص، وعدت إلى بعض كتبهم فوجدت هذه المقولة في كتبهم القول بأن القرآن محرف وناقص لكن وجدت أيضاً في كتبهم من ناقش هذه الأقوال فأثبت أن أسانيدها ما بين زنديق وكذاب ومجهول ووجدت من علمائهم الأقدمين من أفتى بكفر من قال: إن القرآن محرف، هذا بالنسبة لهذه القضية ومع هذا أقول: لو قالوا بها فيجب أن نحاورهم لنثبت لهم أن هذه المقولة باطلة، الأمر الثالث بالنسبة لقضية سب الصحابة فهي القاعدة نفسها، يجوز أن أتحاور معهم إذا كان في الأمر مصلحة، وأتحاور معهم حول هذه القضية وأبين لهم عدم صحتها وهذه القضية أيضاً بالذات ذكّرت الشيخ حسن الصفار أنه سب الصحابة في أشرطة رائجة بين الناس، فأقسم بالأيمان المغلظة إن هذا لم يحصل ثم قال: لقد أعلنت في الفضائيات ونشرت في الصحف، وذكر الصحف وأعدادها، ونشرت في الإنترنت في موقعي وفي مواقع أخرى، والبيانات مازالت موجودة، براءتي إلى الله مما نسب إلي وإنني لم أقل ذلك وإنني أحرم سب الصحابة، وأرى أن ذلك من الكبائر، وأنا أعتقد أن صدور هذه المقولة من الصفار هو مكسب، أضيف إلى هذا أيضاً أنه في زمن الرسول ﷺ وجد من الكفار من نال من النبي ﷺ ومنهم من نال من الله سبحانه وتعالى، ومع هذا عرضت عليهم الدعوة وحاورهم المصطفى ﷺ بل في أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم نال بعضهم من بعض، فهل يعني أن نرفض الجميع؛ لأن بعضهم نال من بعض؟ نسأل الله أن يغفر لهم. وطبعاً هناك تفريق بين سب الصحابة في الجملة وبين سب بعضهم، وهو بلا شك كبيرة من الكبائر وفي حال بعضهم مثلاً: من رمى عائشة رضي الله عنها وأرضاها بما برأها الله منه في كتابه فهو كفر، ولدينا في مذاهب أهل السنة جمهور الحنابلة

والإمام مالك وجمهور الشافعية يقولون: إن سب الصحابة كبيرة من الكبائر والحنفية وبعض الحنابلة وبعض الشافعية يقولون: سب الصحابة كفر، وشيخ الإسلام ابن تيمية في آخر الصارم المسلول قسم هذه القضية أو حلل هذه القضية فقال: إن السب ذاته أو النيل لا يعدّ كفراً لا يعتبر كفراً، ولكنه قد يكون كفراً لأمور أخرى قد تصحبه أما هو في ذاته فهو ذنب من الذنوب الكبيرة. نعم، هذا هو المنطلق أن الرجل تنصل من قضية سب الصحابة وتنصل من قضية تحريف القرآن، وثانياً أقول: لو ثبت هذا عليه فيجوز أن تتجاور معه.

طيب، هل سنرى من نتائج؟ مثلاً هذه الزيارة وزيارة قبلها لبعض المشايخ جديدة فعلاً تثبت ذلك؟ هل تتوقع أن نرى لقاء مثلاً بمثل لهذا اللقاء يستضيف الصفار مع مجموعة من العلماء والمثقفين من أهل السنة؟

- أنا أتوقع أن هذا الأمر سيتسع أكثر وأكثر، وأنا أريد حقيقة من القراء الكرام أولاً ألا يبنوا عليه آمالاً عريضة مع أننا نتمنى أن نحقق هذه الآمال، لكنني أقول: لا تبنى عليه آمالٌ عريضة، فمئات السنين من الخلافات والتراكمات قد لا تسمح لهذا الجيل بأن يرتقي ويتجاوزها، وكما قال أحد المتحدثين في تلك الليلة عندما قال: لماذا نحمل أوزار الذين اختلفوا وهم قد أفضوا إلى ربهم سبحانه وتعالى ونحن نعيش في عصرنا نلتجئ أو نلتف حول كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ وننطلق في عصرنا لما يستدعيه الأمر؟ فأنا أقول: لا يكن هناك تفاؤل مفرط هذا الأمر الأول، والأمر الثاني أتوقع أنه سيكون هناك لقاءات مع العديد من المشايخ بل هناك أحد المشايخ وهو الشيخ صالح الدرويش التقى قبلي مع الشيخ الصفار ومع غيره من الشيعة والعلماء وتحاور معهم كثيراً، وهو صاحب خبرة ومعرفة بهم، وكان بيني وبينه مهاتفة قبل الذهاب في ذلك اليوم من اللقاء، وكان بيني وبينه لقاء في

اليوم الآخر بعد لقائنا أي: بعده بيومين، فلست أول من طرق الباب، ومن أمثلة ذلك الدكتور محمد علي الهرفي الذي حضر اللقاء تلك الليلة وقال: إنه من سنين طويلة وهو يطرق هذه المجالس، ويحاور القوم، وحضر معنا أيضاً أحد الأئمة للمنطقة الشرقية في تلك الليلة اسمه الشيخ عبدالرقيب مهيوب وقال: إنه منذ عشرين سنة وهو يلتقي بهم ويحاورهم وإنه لا يرى بديلاً هناك للحوار.. فلست أول من طرق هذا الباب، وظني أنه سيأتي بعدي الكثير ممن يطرقون هذا الباب، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق الخير على أيدي الجميع.

في ظل كلامك - دكتور عوض - الداعي بأن لا نبني آمالاً عريضة.. ما هي الآمال الإيجابية التي تتوقع بشكل واضح جداً أن تكون موجودة؟ في المقابل ما هي الأمور السلبية التي قد تكون؟

- أنا أؤمل أن يفهم بعضنا بعضاً فهماً حقيقياً أي: لا نقبل أن نخمن من هؤلاء القوم ويخمنوا من نحن بناءً على ما كتب في أزمنة مضت مع أن التطورات البشرية تمر كل قرن بمنعطفات حادة، فكيف وهي قرون؟ فأملي أن يفهم بعضنا بعضاً فهماً جيداً، أملي أن نقلص الخلاف في بعض ما نتوقع أنه خلافات حقيقية ثم نكتشف أن الرؤى متقاربة فيه، وننقل ذلك للجماهير ليقرب بعضها من بعض. أنا لست من أنصار تجميد الخلافات التاريخية؛ لأن ذلك غير ممكن لكنني أطالب بتفكيكها ووضع كل مكون في موقعه الطبيعي من حيث أهميته وأولويته بالنسبة لنا نحن من جانبنا وأكيد أيضاً لهم من جانبهم، فإذا عملنا بهذه الكيفية فسيبقى الخلاف الذي لا يمكن تجاوزه محدوداً، سنجد خلافات فقهية، وسنجد خلافات لا يتبناها إلا فريق محدود جداً والبقية يرفضونها، وسنجد خلافات حقيقية، وظني أننا بعد ذلك إذا بدأنا التعامل مع هذه الخلافات بدليل وبرهان وعقل مستنير وإنصات وإخلاص فإننا سنتجاوز الكثير من هذه.

دكتور عوض.. هل الشيعة مبتدعون؟

- بلا شك إن الشيعة لديهم من البدع ما لا نقرهم عليه، وهذه لا أجامل فيها، لكن هناك سؤالين: السؤال الأول: ما هو حجم هذه البدع على الحقيقة لا على ما قرأت في التاريخ أو ما نتوهم؟ السؤال الثاني: ما هو المنهج الأمثل من الناحية الشرعية في التعامل معهم؟ وكيف نعرف هذا؟ ثم أمر ثالث أنهم ليسوا كلهم على سمت واحد ولا على نمط واحد.

وكيف نعرف حجم البدعة من الحقيقة في ظل ما يؤمنون به من تقية؟

- بالحوار والنقاش والخطاب والقراءة، وأرجو أن لا نبالغ في قضية التقية وفي نسبتها إلى القوم، فنحن لو عدنا إلى سيرة النبي ﷺ لوجدنا أن المنافقين الذين أضمروا الكفر بداخلهم وليست مجرد بدع وكان ينزل القرآن كاشفاً لخبايا نفوسهم فيأتون النبي ﷺ فيحلفون: ما قلنا كذا فيقبل منهم، على ذلك إذا كان الناس في مواقع الإنترنت وفي المساجد وفي المجلات وفي الفضائيات وفي مؤلفاتهم يقولون كذا وكذا أقول: لا، أنتم لا تعتقدون هذا، هذا ليس صحيحاً على الإطلاق، وليس بإنصاف، وما أمرنا أن نشق عن قلوب الناس.

ألا تعتقد يا دكتور عوض - وأنت رمز من الرموز الإسلامية في المملكة - أن ذهابك إليهم هو بمثابة إقرار لهذه البدع التي هم فيها؟

- لو كان هذا صحيحاً لكان ذهاب النبي ﷺ إلى المشركين إقراراً لهم على شركهم، ولكان ذهابه للعرب في أسواقهم إقراراً لهم على كفرهم، ولكان إرساله أصحابه إلى المدينة وذهابه إلى اليهود في ضواحي المدينة إقراراً لهم على كفرهم، لا، ليس إقراراً على الإطلاق، يعني بل من حيث المبدأ لا أقر أي إنسان على خطأ يخطئه، لكنني لا أمتلك سلطاناً عليه يجعلني أختلس قناعاته من قلبه من غير دليل

ولا برهان ولا إثبات، فليس الالتقاء دليلاً على الإقرار، وإلا لكان أيضاً لقاؤهم لنا دليلاً على قناعتهم بما لدينا وإقراراً لنا على ما نفعل.

إذن كيف نفرق بين الحوار والإقرار حوار المبتدع وإقراره؟

- الإقرار هو الذي يقول للإنسان: أنت تعتقد كذا وكذا، فإذا قال: نعم، قال: أنا أقرك على هذا. والحوار هو الذي يذهب إليه يحاوره ليستجلي ويكتشف حلول المشكلات والمعضلات التي يعيشها الجانبان.

هل كان ثمة لقاء خاص مع النخبة الشيعية؟

لا، لم يكن هناك أي لقاء خاص في غير ما أعلن عنه.

هل تعتقد أن الصحوة بحاجة إلى صدمات حالية مثل هذه الحوارات حتى تعيد إستراتيجيتها وتعيد بناء مسيرتها على المعطيات الواقعية؟

- أنا أظن الصحوة كما يقال شبت عن الطوق، وأصبحت تتعاطى مع الأحداث والأمور برؤية وعقلية أشمل وأكمل وأكثر إحاطة مما كانت سابقاً، وأصبحت أيضاً رموزها أكثر علمية واطلاعاً ومعرفة بقواعد الشريعة مما كانوا عليه سابقاً نتيجة السن والتجربة والخبرة، أما قضية الصدمات فلا أظن أن في هذه صدمات، أنا أعلم أن من شباب الصحوة من شن حملة على اللقاء والزيارة، بل ليس على اللقاء وعلى الزيارة بل على شخصي أنا، وبعضهم قبل أن تبدأ الزيارة ظن أن الزيارة قد انتهت، فكتبوا في الإنترنت افتراءات أن فلاناً زار فلاناً وقال كذا وكذا، وهذا قبل أن أصل إليهم بثلاث ساعات، وطبعاً هذه كارثة أن يصبح الإنسان تحت رداء الدين والتدين كاذباً ومفترياً.. له الحق أن يختلف معي وأن يقول: أصل الحوار معهم لا يجوز، وحينئذ علي إما أن أقبل أو لا أقبل هذا أو يبين له شرعية الحوار بالدليل وله الحق أن يقول، لا أنكر مبدأ الحوار، لكنه في هذا الظرف غير مناسب أو مع هذا

الشخص غير مناسب، لكن أن يصادر حقي في أن أمارس قناعاتي وفق فهمي لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويريد مني أن أتحول إلى صدى قناعاته هو فهذا مرفوض أولاً. وثانياً أن يتحول -كما قلت قبل قليل - إلى كذب وافتراء ومزايدات فهذا ليس له حق، وظني أن من سيقبل به فيجب أن يرثي لحاله وأن يبكي على نفسه، وأنا أعلم أن بعض الناس لقناعات فكرية معينة، وبعض الناس لرؤية منهجية معينة محددة في الفهم والتعامل، وبعض الناس ربما لرؤى فئوية أو حزبية بمعنى لو أن الزيارة جاءت من فلان لقبلوا بها، لكنها حينما لم تأتِ إلا من أناس خارج دائرته ومن عموم المثقفين وأبناء الصحوة الذين لا يتأطرون في إطاره فهي مرفوضة جملة وتفصيلاً، وبعد ذلك من خلال استطلاعي فإن الكثرة الكاثرة من أصحاب الصحوة كانوا مستبشرين بهذه الزيارة ويرجون فيها خيراً وبعضهم كان متوقفاً حتى سمع ما دار في الزيارة وحينئذ أصبح موقفه إيجابياً.

عفواً دكتور هناك من يؤكد على قضية أن أغلب من حاور الشيعة في التاريخ المعاصر هم حركة الإخوان المسلمين، وهذا أقره الدكتور عصام العريان في مقال له بجريدة الحياة، وعلى هذا الأساس فسروا زيارتك للشيعة.. فما تعليقك؟

- نحن حقيقة واقع حالنا في السعودية يؤكد أن كلام الدكتور عصام العريان أو غيره ليس صحيحاً، فكثير من المدارس الإسلامية في السعودية أو في الهند أو في العراق مما لا تنطوي تحت لواء مدرسة الإخوان وبعضها أسبق تاريخياً من الإخوان تحاورت مع الشيعة، تحاوروا مع غير الشيعة، وهناك العديد من العلماء لدينا ممّن تحاوروا مع الشيعة بحقب مختلفة، بعضهم في الخليج، وبعضهم في السعودية، وبعضهم التقوا معهم وتناقشوا معهم وتحاورا معهم، بعض هذه الحوارات كانت على صفحات الصحف، بعضها كانت كتباً وكتابات، بعضها كانت حوارات هادئة، بعضها

كانت حوارات عنيفة، أنا ظني أن الحوار - لأنه مبدأ شرعي - مشاع بين جميع الطوائف والمذاهب والفرق الإسلامية، وليس محصوراً على فرقة وطائفة.

هل ثمة رسالة أخيرة عبر هذا الحوار؟

- أنا أوجه رسالة أخيرة أولاً إلى عقلاء أهل السنة: أنتم الأكثرية من أمة الإسلام، ولن تستطيعوا القضاء على غيركم مادياً، ولا يجوز ذلك لكم، فكروا كيف تستطيعون أن تكسبوهم وأن تقنعوهم بأن يقتربوا منكم أو يقفوا في جانبكم. وأوجه كلمة إلى عقلاء الشيعة وأقول: لا تبقوا أسرى أحداث تاريخية مضت وانقضت ولم يعد لها وجود، واتجهوا إلى القواسم المشتركة بينكم وبين أهل السنة؛ الإيمان بالله وبكتابه وبرسله وملائكته واليوم الآخر والقدر وأركان الإسلام الخمسة ومرجعية الكتاب والسنة والمصير المشترك للناس في هذا الزمان، وحاولوا أن تنطلقوا من هذه القواسم المشتركة لتجاوز تلك الخلافات التاريخية والبحث عن حلول لها، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمع أمة محمد ﷺ على الحق الذي يرضاه سبحانه.

*****

محمد حسين فضل الله (*):

ما يدعو إليه المخلصون الوحدويون هو البعد عن التراشق بالاتهامات غير الصحيحة في التخاطب المذهبي بين المسلمين

للحوار في التجربة الإنسانية أكثر من دور، فهناك التفاهم الذي يفهم فيه المختلفان في الآراء وجهة نظر كلٍّ منهما بشكل واضح دقيق مما يبتعد بهما عن حالة سوء التفاهم التي تؤدي إلى بعض السلبيات في النظرة والعلاقات، وهناك التعارف الذي يحقق المعرفة التفصيلية لما يتميز به الطرفان أو الأطراف من انتماء أو خطٍ فكري عندما ينفتح العقل أو القلب على ما يختزنانه من فكر أو موقع أو شعور، وهناك المحاولة الجادة لتحقيق الاقتناع في تجربة الدعوة والإبلاغ عندما يدعو صاحب الفكر أو الموقف أو الرسالة الإنسان الآخر إلى موقعه ليلتزمه في الأسلوب الحواري الذي يقدم الحجة المقنعة التي تجذب الآخر إليه.. وهكذا يمثل الحوار الانفتاح الإنساني على الإنسان الآخر في عملية تخطيط للتقارب الفكري والشعوري على مستوى التنوعات الدينية والسياسية والاجتماعية في محاولته لتفادي المشكلات المعقدة التي تنتجها الاثنينية في الانتماء أو الموقف أو الواقع.

وقد كان القرآن في خطوطه الفكرية وأساليبه الفنية وانفتاحاته الروحية حركة في الحوار بالدرجة التي توحي بأنه لا مقدسات في الحوار، فهناك الحوار العقدي في مسألة التوحيد والشرك وفي مسألة النبوة واليوم الآخر وفي أكثر من قضية تتصل بالحياة وبالإنسان، وذلك من أجل الإيحاء بأن قضية العقيدة في أصولها لا بد من أن

(*) مرجع شيعي لبناني.

تخضع للتفكير الذي ينفتح على التنوع في الفكر الموافق والمضاد لترتكز على أساس العمق الذي ينطلق على قاعدة العقل لا على أساس السطح الذي يتحرك في دائرة الشعور والإحساس. وقد تميز الحوار القرآني بالأفق الرحب في قضايا حركية الفكر، وبالتأكيد على مواقع اللقاء من خلال الوقوف على الكلمة السواء التي تمتد إلى كل اختلاف ينطلق من موقع وفاقي وقاعدة مشتركة في الأساس؛ لينتهي - بعد ذلك - إلى موقع الخلاف في روحية التجربة الوفاقية في البداية..

ويرتفع الأسلوب القرآني الحواري ليبتعد بالحوار عن الحالة الذاتية التي يختزن فيها كل طرف من المتحاورين النظرة إلى صاحبه بأنه المخطىء وهو المصيب في نظرةٍ مسبقة إلى المسألة قبل الدخول في الحوار بحيث يعيش حالة من العدوانية الفكرية ضد فكره، فنقرأ في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾، (سبأ:٢٤)، لنستوحي منه أن الله يوصي نبيّه - والمؤمنين معه - بأن لا يحكموا على الفريق الآخر - الكافر أو الضال بالخطأ، ولكنه يساوي بينه وبينه في الحيرة بين الهدى والضلال المحتملة في كلا الفكرتين، ليكون الحوار رحلة مشتركة متفاوتة في البحث عن الحقيقة الضائعة بينهما.. وهذا هو المنهج الحضاري الذي لم يقترب إليه أي منهج آخر في الحوار.

وفي ضوء ذلك فلا بد للقائمين على شؤون الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي المتحرك في ساحة الصراع من الأخذ بأسباب الحوار مع التيارات الأخرى سواء أكانت دينية أم علمانية؛ لأن ذلك هو السبيل للدخول إلى الموقع التاريخي والديني والسياسي للعالم المعاصر بحيث ندخل في حركته الفاعلة؛ ليكون الإسلام قوة منفتحة على القوى الأخرى في عملية تأثر وتأثير في التجربة الحضارية التي توحي للآخرين بالروح الإسلامية الحضارية على صعيد الفكر والواقع مما قد يقوّي اجتذاب الآخرين إليه وانتماءهم إلى فكره.

وإذا كانت الفئات المعادية للإسلام قد تحركت بالطرق السلبية العدوانية في إثارة الشبهات ضد الفكر الإسلامي والمفاهيم الإسلامية في خطته لتشويه صورة الإسلام، إذ تعمل على نسبة الإرهاب والعدوانية إلى الإسلام، فإن ذلك ينبغي أن يدفع القائمين على العمل الإسلامي إلى المزيد من الاندفاع بالحوار في توضيح الإسلام للآخرين وإسقاط كل الحواجز التي تحول بين الناس وبينه؛ لأن الواقع الذي نعيشه هو واقع الحرب الثقافية ضد الإسلام لإبعاد العالم عن أصوله وفروعه وأساليبه ووسائله وتحريك الجو العدواني الشعوري ضده.

ولعل من أخطر المشكلات التي واجهها الإسلام هو غياب الحوار الإسلامي - الإسلامي وامتداد الأحكام الظالمة التي يطلقها بعض المسلمين ضد بعضهم الآخر بلحاظ ما ينسبه هذا البعض من هذا المذهب إلى المذهب الآخر، ولاسيما ما ينسبه جماهير أهل السنة ولاسيما العلماء منهم إلى المذهب الإمامي الشيعي من عقائد ومفاهيم قد تنتهي بهم إلى الحكم عليهم بالكفر، وقد لا تقتصر القضية - في أبعادها السلبية - على تكفير أهل مذهب لمذهب آخر، بل قد تتحرك في الخلافات الكلامية والفقهية في داخل المذهب الواحد مما قد نراه في المذهب الشيعي أو السني وربما تنطلق هذه المسألة إلى فقدان القراءة العلمية لكلٍّ منها، أو نسبة رأي شخص من أهل المذهب إلى المذهب كله، أو دراسة نصّ في مرحلة معينة لينسب إلى المذهب بينما تجاوزت المراحل الأخرى ذلك كله.

إننا ندعو إلى الحوار الشامل في كل العناوين المختلفة والتدقيق في مفرداتها، وقراءة كل الإثارات الفكرية التي تحركت في توضيح بعض الإشكالات ودفع بعض الشبهات، وربما كانت قيمة هذه الحوارات أنها تسهم في تصحيح بعض أخطاء هذا المذهب أو ذاك بالبراهين القوية التي يثيرها الجدل الديني المذهبي أو انحرافات بعض القواعد الفكرية العقدية أو الفقهية في داخل المذهب الواحد في الخلافات

بين مفكريه، الأمر الذي يوفر على المسلمين الأحكام الظالمة في التكفير والتضليل مما يضعف مواقعهم الثقافية والسياسية على صعيد الصراع العالمي في معركة الإسلام مع الاستكبار والكفر العالميين.

وقد لاحظت الحوار الذي تضمنه هذا الكتاب، فرأيت فيه تجربة جيّدة في توضيح الكثير من العناوين التي يثيرها بعضهم ضد المذهب الشيعي وأهله، وذلك من خلال المنهج الموضوعي الصريح في الحوار الثقافي الذي أداره صاحب الفضيلة العلامة الشيخ حسن الصفار - حفظه الله - على الرغم من أسلوب الإثارة الذي كان يحاوله محاوره في مداخلاته الصريحة ناقلاً للهواجس التي يختزنها بعض الناس حول خط التشيع.. وهذا هو ما يدعو إليه المخلصون الوحدويون الإسلاميون في البعد عن التراشق بالاتهامات غير الصحيحة في التخاطب المذهبي بين المسلمين. إننا نقدر هذا الحوار راجياً أن تمتد هذه التجربة وأن تسهم في تحقيق التفاهم والتعارف، وإعادة الأخوة بين المسلمين على مستوى الوحدة على خط التنوع.

ولا يفوتني تقدير الأسلوب الذي اتبعه الأستاذ عبدالعزيز محمد قاسم في التأكيد على إثارة الفكرة الحوارية بطريقة فنية جيدة في مفرداتها وإيحاءاتها من أجل مستقبل حواري إسلامي ينفتح على العقل والعلم والمحبة الإسلامية.

والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

محمد حسين فضل الله

١٩جمادى الأولى ١٤٢٦هـ

*****

الشيخ محمد علي التسخيري(*):

ليتنا نشهد أمثال هذا الحوار في مختلف أرجاء عالمنا الإسلامي مما يغنينا عن كثير من التحمل والتنطع وإثارة الإحن والأحقاد

بسم الله، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين وصحبه الميامين، وبعد،

لقد سنحت لي الفرصة أن أطالع هذا الحوار الشائق بين سماحة العلامة الشيخ الصفار والأخ الكريم الأستاذ عبد العزيز قاسم؛ فوجدته حواراً أنموذجياً جميلاً، برع فيه الأخ السائل أيما براعة، فجسد أنموذج الصحفي النبيه الفطن بمداخل الأمور ومخارجها، اللبق الكيّس الذي يتقيد بقواعد الحوار ومن أهمها: الروح العلمية، والذهن الوقاد، والاحترام والهدوء والموضوعية.

كما برع فيه العلامة المجيب تماماً؛ إذ إتصف حديثه بالصراحة التامة، والمعلومات الموثقة، والصدر الرحب، والتقيد الجميل أيضاً بقواعد الحوار القرآنية؛ وهي قواعد لو جرت في حياتنا لأكسبتنا الخبرة المطلوبة، والمنطقية في الحجاج، والوسطية في السلوك، ولأبعدتنا عن الحالات العصبية والطائفية العمياء، وأبقتنا على سنن الحق بعيداً عن جواد المضلة، فهي الجادة المطلوبة؛ عليها معالم القرآن وآثار النبوة.

وأود أن أقولها بصراحة: إنني - مع غالب ما تفضل به الشيخ المجيب - لا أجدني أختلف معه إلا في بعض الجزئيات.

(*) أمين عام مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية - طهران.

وليتنا نشهد أمثال هذا الحوار الموضوعي في مختلف أرجاء عالمنا الإسلامي مما يغنينا عن كثير من التحمل والتنطع وإضاعة الأوقات والجهود وإثارة الإحن والأحقاد، وينقلنا من حدية (الإيمان والكفر) إلى موضوعية (الحقيقة والخطأ)، ويخلصنا من ادعاء امتلاك الحقيقة وأن ما سواها الباطل الصريح.

إنني أشعر بالارتياح حينما أجد فكرة التقريب بين المذاهب تسري كالعافية في عروق هذه الأمة، وخصوصاً بين علمائها وباحثيها، لترجع العلاقة بين المذاهب إلى حالتها الطبيعية، فتعود اختلافاتنا المذهبية رحمة وثراء، ومجالاً رحباً يستقي منه ولاة الأمور الرأي الأكثر مناسبة لتحقيق مصالح المجتمع والأمة، فيطبقونه باعتباره ناتجاً عن اجتهاد إسلامي سليم.

وبهذه العودة إلى المذهبية الإيجابية ننبذ عهود الطائفية المقيتة التي أجرت أنهار الدم والدموع إرضاء للشيطان وإغضاباً للرحمن.

إنني أستحضر تاريخاً طويلاً مترعاً بالآلام يوم كان أتباع المذاهب (وحتى مذاهب السنة) يكفر بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض، وأنظر إلى الواقع القائم والتآلف الموجود فأشكر الله - تعالى - كل الشكر على هذه النعمة.

وهنا أذكر بأن بعضهم اليوم يحاول إثارة الفتنة القديمة بين الأشاعرة والمعتزلة، والشيعة والسنة، بل يحاول أن يُخرج الأشاعرة من الدائرة الإسلامية، وهذا من أغرب الأمور خصوصاً إذا كان يصدر من علماء يدعون أنهم يحملون هم الأمة، ويعملون على تعبئة كل الطاقات لمواجهات التحديات الضخمة التي تحيط بهذه الأمة من قبل: العولمة والعلمانية والتخلف بأنواعه، والهجوم على ثقافة الأمة، بل والعمل على محو وجودها.

ولكن ليعلم هؤلاء أن مسيرة الصحوة الإسلامية تتقدم، وأن الوعي الإسلامي يتطور، وأنهم إنما يشكلون حجر عثرة ستتخطاه هذه الأمة المرحومة. أسأل الله تعالى لسماحة الشيخ الصفار النجاح في مسعاه المقدس، وللأستاذ عبد العزيز التقدم في نشاطه الإعلامي الهادف، والله ولي التوفيق.

محمد علي التسخيري

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب
بين المذاهب الإسلامية
٢٠٠٥/٦/١٢م

*****

الشيخ حسن الصفار معلقاً على المداخلات:

التعارف يجب أن يكون هو هدف الحوار وليس التبشير برأي المذهب، أو تسجيل نقاط غلبة وانتصار

تحديد هدف الحوار بين أطرافه شرط مهم لإنجاحه، ولترشيد مساراته. حيث ينطوي الحوار على إمكانية الخدمة لأهداف متعددة. فإذا لم يتجه المتحاورون نحو هدف محدد، أو اختلفت الاستهدافات بين أطراف الحوار، فلن يكون الحوار ناجحاً مثمراً، ولن تنتظم إيقاعاته بشكل موضوعي سليم.

فهناك من يحاور الآخرين لإقناعهم بأحقية رأيه ومذهبه، وبطلان آرائهم وتوجهاتهم.

وهناك من يحاور لإفحام الطرف الآخر وتحقيق الغلبة عليه.

وهناك من يحاور الآخرين طلباً للمعرفة وبحثاً عن الحق.

وهناك من يحاور للتعارف وترسيم حدود الاتفاق والاختلاف مع الآخر، للتأسيس لعلاقة إيجابية بين الطرفين.

إن لكل حالة من حالات الحوار دوافعها ومبرراتها عند المتحاورين، كما أن نهج الحوار ومساراته قد تختلف بين هذه الحالات. لذلك من الأهمية بمكان أن تتحدد غاية الحوار ليتحدد نهجه ومساره. وليكون موجهاً باتجاه الهدف المنشود، حتى يحقق أعلى نسبة ممكنة من النجاح والإنجاز.

وحين عرض عليّ الأخ الكريم الأستاذ عبد العزيز قاسم - حفظه الله - إجراء حوار يتسم بالصراحة والمكاشفة، حول وضع المواطنين الشيعة في المملكة، لينشره في جريدة المدينة، ضمن ملحقها الأسبوعي المتميز (الرسالة)، بادرت إلى قبول عرضه الكريم؛ لأنني وجدت فيه فرصة طيبة لخدمة هدف عظيم، ذلك الهدف هو التأكيد على وحدة الأمة الإسلامية بشكل عام، وحماية وحدتنا الوطنية في المملكة العربية السعودية بشكل خاص.

إن الوحدة ضرورة ملحة لكل أمة ومجتمع، في كل وقت وآن، لكنها عند المنعطفات الخطيرة وأمام التحديات الصعبة تصبح أكثر ضرورة وإلحاحاً.

ونحن نعيش الآن هذه اللحظة الحرجة، فلا بد لنا من الاهتمام بجمع الشمل، ولمّ الصفوف، وتجاوز الخلافات والصراعات، لتتركز جهودنا واهتماماتنا.

واتفقت مع الأستاذ عبد العزيز على أن يكون هدف الحوار توفير فرصة التعارف المباشر بين أبناء الوطن من السنة والشيعة، لتجاوز مرحلة الظنون والنقولات، وآثار الحقبة السابقة التي أنتجتها عوامل سياسية مرت بها المنطقة الخليجية خلال العقدين الماضيين.

لقد رُسمت صور وانطباعات عند كل طرف عن الآخر، فيها الكثير من التشويش والتشويه، وتكرست تلك الصور والانطباعات في ظل أجواء القطيعة والتباعد، وتأكدت ألوانها القاتمة بفعل التعبئة والتحريض المتبادل على الكراهية.

وهنا يأتي دور المبادرات الواعية المخلصة التي تكسر الحواجز، وتقتحم الأسوار، وتنزع فتيل التشنج والحساسيات، عبر فتح الملفات بحكمة، ووضع قضايا الخلاف على طاولة النقاش الهادئ، وتناول المسائل بموضوعية تستند إلى الإقرار بحقوق الإنسان وحقوق المواطنة، ثم الاعتراف بحق اختلاف الاجتهاد والرأي، في إطار مرجعية الكتاب والسنة لمذاهب الأمة الإسلامية.

لكن هذه المبادرات لن يقوم بها إلا من كان مهتماً بمصلحة الوطن وأمنه واستقراره، ومسكوناً بهاجس الوحدة وتحصين الجبهة الداخلية، وشجاعاً يتجاوز إرهاب الأجواء المحيطة، التي تعد القطيعة مع الآخر ديناً، والخصومة مع المخالفين تكليفاً شرعياً.

وقد توسمت في أخي الكريم عبد العزيز قاسم هذه المواصفات الطيبة، من خلال متابعتي لكتاباته وحواراته السابقة، مع بعض الشخصيات الدينية والوطنية، لذلك لم أتردد في الاستجابة لطلبه الكريم، وشرفني بزيارته في القطيف، بتاريخ ٢٤ رجب ١٤٢٥هـ الموافق ٩سبتمبر ٢٠٠٤م، وأمضيت معه ساعات طويلة من الحوار، لمست فيها سعة أفقه، وحسن أدبه، وتركيزه على المصالح العليا للإسلام والوطن.

كان يطرح أسئلته الحساسة الصريحة على أساس أنها تساؤلات مطروحة في الساحة التي يعيشها، ويرى أن الإجابة عليها من الطرف المعني بشفافية ووضوح يساعد كثيراً على جلاء الصورة، وتنقية الأجواء، ويخدم توجهات الوحدة الوطنية والتقارب الإسلامي.

ولأنني مقتنع بأن التعارف يجب أن يكون هو هدف الحوار، وليس التبشير برأي المذهب، أو تسجيل نقاط غلبة وانتصار، فقد التزمت في إجاباتي بما يخدم هذا الهدف، مكتفياً بإيضاح الموقف، مع الإشارة إلى مبرراته أحياناً دون الانسياق إلى دائرة الجدل المذهبي، والتوغل في تفاصيل سجالات الخلاف العقدي والفقهي.

وأعتقد أن جهوداً كبيرة قد استهلكت من علماء الأمة وطاقات أبنائها في متاهات الجدل المذهبي الذي لا طائل خلفه، والذي شغل الأمة عن مسارات التنمية والبناء في جوانب الحياة المختلفة.

لقد استقر واقع المذاهب الإسلامية في ساحة الأمة منذ قرون، وعلينا الإقرار والاعتراف بواقع التعدد المذهبي، وتجاوز سياسات الإقصاء والتهميش والتمييز بين أبناء الأمة والوطن، وعدم المراهنة على سراب تغيير القناعات المذهبية لأي طرف من الأطراف، والمطلوب هو الاحترام المتبادل، والتعاون في بناء الوطن، وخدمة المصالح المشتركة للأمة.

وإذا كان العدل هو سياسة حكم الإسلام بين الناس على اختلاف أديانهم وأعراقهم ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾، وإذا كان الحيف على أي حق معنوي أو مادي لأحد من الناس مرفوضاً في منطق الإسلام ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾، وإذا كان التخاطب مع أتباع الديانات الأخرى مشروطاً بالتزام أحسن الآداب، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فإن التعامل الداخلي بين أبناء الأمة يجب أن يكون في أفضل صيغ التعايش والتعاون مهما اختلفت المذاهب والتوجهات.

وانطلقت من هذه القناعات في المكاشفات مع الأخ العزيز عبد العزيز، وقد نشر كل الإجابات بأمانة وإتقان، في حلقات خمس على صفحات ملحق (الرسالة)، مفرداً صفحتين كاملتين لكل حلقة، من تاريخ ١٤٢٥/٨/١٧هـ إلى تاريخ ١٤٢٥/٩/١٨هـ. وسعدت جداً بالأصداء الطيبة التي أثارتها حلقات المكاشفات، وكان لمداخلات بعض الباحثين والكتاب دور في إثراء ما طرحته المكاشفات من آراء ومقترحات، لكن بعض المداخلات كانت باتجاه الاستغراق في الجدل المذهبي، والتركيز على ضرورة تغيير القناعات والتوجهات العقدية والفقهية لدى الشيعة، وتناول بعض ما ورد في كتب الشيعة وتراثهم، ولأنني لست مقتنعاً بجدوى هذا النهج من الحوار، لم أجد نفسي معنياً بمناقشة ما ورد في هذه المداخلات أو الردّ عليها.

وأخيراً فإنني أجدد الشكر للأستاذ عبد العزيز قاسم، وللإخوة الأعزاء في رئاسة تحرير جريدة (المدينة)، وملحقها (الرسالة)، على إتاحة هذه الفرصة الثمينة

للحوار الهادف، الذي شاركنا فيه كل القراء داخل المملكة وخارجها، كما أشكر كل من تفاعل مع هذا الحوار وأسهم في إثرائه مشجعاً وناقداً، من خلال المداخلات، والكتابة في الصحافة، أو على شبكة الإنترنت، وعبر جلسات النقاش والبحث، التي بلغني انعقاد كثير منها في مختلف أرجاء الوطن متزامنة مع نشر حلقات المكاشفات.

وكذلك من خلال الاتصالات التليفونية، ورسائل البريد الإلكتروني التي تلقيتها من داخل وخارج المملكة.. إلى الجميع أتقدم بخالص الشكر والامتنان، وأرجو أن يكون نشر هذه المكاشفات تكريساً لنهج الحوار والموضوعية في معالجة قضايا الاختلاف، إسهاماً إيجابياً في تطوير العلاقات بين شرائح الوطن وفئات الأمة، باتجاه التواصل والتقارب والوحدة، لخدمة الأهداف العليا، والمصالح المشتركة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

القطيف:
١٢٤٦/٥/٢٠هـ
٢٠٠٥/٦/٢٧م